

برل الاستراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ مليا

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

بجدة الشيخية للهدى والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشؤل
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧٦٣ هـ القاهرة في يوم الاثنين ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ١٦ فبراير سنة ١٩٤٨ هـ السنة السادسة عشرة

أسئلة في سؤالين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

—>>><<<—

سؤال عن الله ، وسؤال عن « الفاروق » خليفة رسول الله .
أما السؤال عن الله فهو من الأديب « عبدالستار شمس الدين »
الطالب بالجامعة الأمريكية في بيروت ، وفيه يقول : « إن
الدكتور عبد الرحمن بدوي أتى محاضرة عن الجانب الصوفي من
حياة النبي في قاعة (وست) بالجامعة الأمريكية فقال : إن محمداً
رأى ربه عند ما بلغ الناية من عبادته الصوفية ، واستشهد بالآيات
التالية من سورة النجم ... « وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى
فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب
الذواد ما رأى » .

فإذا كان ما قال الله صحيحاً فهل الله جسم ؟ وهل هذه الصفة
الجسمية تجمله واجب الوجود ؟ وهل تمارض هذه مع الآية :
« لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » .

والشهور المتفق عليه بين الفسرين — ومنهم أهل السنة
والشيعة والفلاسفة — أن التصود بالرؤية هنا هو الروح الأمين
رسول الوحي جبريل : « إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد
القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » .

فالإمام الرازي وهو من الفلاسفة يقول : « والشهور أن هو

ضمير جبريل ... والظاهر أن المراد محمد صلى الله عليه وسلم .
معناه استوى بمكان — وهو بالمكان المالي رتبة ومنزلة في رفعة
القدر — لا حقيقة في الحصول في المكان . فإن قيل : كيف
يجوز هذا والله تعالى يقول : ولقد رآه بالأفق المبين إشارة إلى أنه
رأى جبريل بالأفق المبين ؟ نقول : وفي ذلك الموضع أيضاً نقول كما
قلنا هاهنا أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وهو بالأفق المبين ،
يقول القائل : رأيت الهلال . فيقال له : أين ؟ فيقول : فوق
السطح . أى أن الرائي فوق السطح لا الرئي » .

والشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء
الإمامية يقول في مجمع البيان : « معناه : ولا يتكلم بالقرآن
وما يؤديه إليكم من الأحكام إلا يوحى من الله يوحى إليه أى يأتيه
به جبرائيل وهو قوله : علمه شديد القوى يعنى جبرائيل ، أى
القوى في نفسه وخلقه ، عن ابن عباس والربيع وقتادة » .

وهذا أيضاً هو للمعنى المشهور بين أهل السنة من الأقدمين
والمحدثين .

أما رؤية الله — من حيث هي بحث مستقل عن تفسير هذه
الآية — فهي موضوع أكثر فيه الخلاف بين المنزلة والتكلمين .
فالمنزلة عامة يعمنون الرؤية لأنها في رأيهم لا تكون
إلا للمسوس .

والتكلمون لا يعمنونها ، بل يميزون رؤية كل موجود على
اعتبار أن الرؤية نوع من العلم ، وأن العلم يحصل بغير اتصال النور
بين الرائي والرئييات .

قصة النبي عليه السلام مع زوجته عائشة وسودة حين لطخت كل منهما وجهه الأخرى بالحريرة . فضحك النبي ثم أمرها بأن تغسلا وجهيهما حين مر عمر فناداه النبي ... وهذه القصة اختلفت أنا والأستاذ في تفسيرها لأنني أرى أنها لا تثبت هيبة النبي لعمر - وإن كان ذلك صحيحاً - لأنني أظن ظناً يرتق إلى مرتبة الاعتقاد أنه لو رأى رجل غير عمر ودعاه محمد رسول الله إلى منزله لأمر زوجته بأن تغسلا وجهيهما ... » .

ونحن مع ترحيبنا بهذه الملاحظة وتقديرنا لذكاء الطالب النجيب في التفاته إليها ، نحس أن ثغرت نظره إلى شيء غاب عنه ، وهو يتكلم عن المهابة وما إليها . فالهم في وصف المهابة وما يماثلها من الأساس النفسية ، كوصف الجمال أو الدهشة أو الخوف ، إنما هو فيما يقوم بالنفس من آثارها قبل كل شيء .

فإذا قال لك أحد : إنني أحببت هذا المنظر لأنه جميل ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تحب جماله ولم تشعر بأنه جميل ، وإن خالفته كل المخالفة في تصور الجمال .

وإذا قال لك أحد : إنني دهشت لهذا الخبر ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تدهش له ؛ لأنه لا يدهش .

وإذا قال لك أحد : إنني أخاف الظلام أو أخاف الغشاء الواسع ، أو أخاف الحجرات المغلقة ، فليس لك أن تكذب خوفاً ، وإن جاز لك أن تكذب في أمثال هذه المواضع ولا تخاف وكذلك حين تقول لنا السيدة عائشة أنها هابت عمر وشعرت بأن النبي يهابه ، لا يحق لنا أن نقول لها : كلا . ليس في الأمر ما يدعو إلى المهابة .

ويبقى أن نذكر في هذه القصة - على الخصوص - أن السيدة عائشة امرأة ، وأن المرأة أحس لهذه المعاني وأقطن ؛ لأنها خلقت لتحس الرجل ، ولا سيما جانب المهابة والقوة فيه .

فإذا وقع في نفسها أنها هابت عمر وشعرت بمهابة النبي له ، فليس المهابة دليل نفسي أسدق من هذا الدليل ،

وأشار الطالب النجيب إلى قولنا بعد ذلك : « إن من أدب الرسول عليه السلام أنه كان يرمي تلك الهيبة رضى عنها واعتباطاً بها في نصرة الحق وهرجة الباطل وتأبين الخير والصدق

ومن الفلاسفة من يوافق المتكلمين في ذلك على هذا الاعتبار . قال العارابي : « الحق الأول لا يخفى عليه ذاته ، وليس ذلك باستدلال . فإثر على ذاته مشاهدة كماله من ذاته ، فإذا تجلى لغيره مغنياً عن الاستدلال ، وكان بلا مباشرة ولا مماسة كان مرئياً لذلك الغير . . . وإذا كان في قدرة الصائم أن يجعل قوة هذا الإدراك في عضو البصر الذي يكون بعد البحث لم يبعد أن يكون تعالى مرئياً يوم القيامة من غير تشبيه ولا تكليف ولا مسامعة ولا محاذاة تعالى عما يشركون » .

ويتكلم أبو البركات هبة الله في كتابه المعتبر عن المدركات بغير الآلات ، فيقول : « إنما يتم إدراكها للنفس بذاتها عند تجردها عن آلائها بالتفانها عنها إلى ذاتها » .

ثم يقول : « حتى تنهى إلى ما يرى كل شيء ، ويصدر عنه وجود الأنوار بأمرها ، خفيها وظاهرها ، وعلتها ومعلولها ، فهو نور الأنوار كما هو مبدأ المبادئ ، فهو أبعد من أن يرى بالعين ، وأحق بأن يرى ، لكونه الأظهر في الوجود ، والأسبق والأحق بالوجود . فالنفس إذا تطلعت بذاتها نحو مبادئها وعادت بنظرها إلى جهة بدايتها انتهت بنظرها إليه واستماتت بمبادئها القريبة عليه » .

وبهذا المعنى يتفق المتكلمون والفلاسفة على أن رؤية الله علم لا يأتي من طريق الدين كما ترى هذه المحسوسات . فليست هي ملازمة للتجسيد ولا تدل عليه . وما البصر الحسي نفسه إلا نوع من الترجمة يمثل لنا ما نحسه ولا يعطينا صورته على التحقيق ، فلا امتناع لقيام معنى الوجود الإلهي في وجدان الإنسان على نحو من إدراك المعاني بخلو من كل تجسيد » .

ولا نعرف أحداً قال برؤية الله حساً غير جماعة المجسمة الذين يفهمون الوجه واليد كما يفهمون أعضاء الأجسام ، وهم فئة لا يؤبه لها في العلم ولا في الدين .

وأما السؤال عن الفاروق خليفة رسول الله ، فهو من الطالب الأديب « عبد المنعم محمد السيد » بالقسم التوجيهي بمدرسة دمياط الثانوية .

وفيه يسأل عن مهابة عمر فيقول : « أوردت في الكتاب

من أمّاربت اوزاهز: (*)

حكمة القدر

للاستاذ على الطنطاوى

دخل علينا أمس ، وكنا جماعة في المجلس صديق لنا ، فقال :
إن ابنة الأستاذ حبيب زحلاوى قد سقطت من الطبقة السادسة
إلى الشارع ا فارتنا جميعاً ، وأعظمتنا الخطب ، وكنا نمرقها
طفلة حلوة ملء إهابها الطهر والجمال والنشاط ، فلم نستطع أن
نتصورها ، وهى مزق من اللحم قد اختلط بعرضه بيمض ، ووجنا
وكانت سكتة لم يقطعها إلا نضح صديقنا الخبز ، فمرقنا أنها مزحة
ثقيلة من مزحانه ، وأقبلنا عليه نسبه ونشتمه ، فقال : والله
ما كذبت عليكم ، ولقد وقعت من الطبقة السادسة ولكنها لم
تصب بشئ ، وهى سليمة ...

فصرخنا جميعاً : سليمة ؟ ا قال : نعم والله . ألا تصدقون ؟
إنها وقعت على حبال النسييل الممدودة بين الشرفين حيال الطبقة
الخامسة ، فعاقتها قليلا ، ونفذت منها إلى حبال الطبقة الرابعة ،
وما زالت تمر من حبال إلى حبال ، حتى إذا بلغت الشارع ، كانت
سقاطها على كومة من الرمال ، صبها سياراة صباح ذلك اليوم ،
نم تصب بأذى .

ومضى يحلف ويذكر الإيمان أن الذى يرويه هو الصدق
والحق ، وأن صبياً لصدىق آخر لا أسمىه لثلاث أسوء ، وأذكره
بصابه ، وقف على مكتب أبيه يلعب ، فرأى صورة معلقة بالجدار ،
فوثب يريد أن يسل إليها ، فوقع على أرض الغرفة ، وكانت من
البلاط ، وكانت السقطة على يادوخه ، فبات لساعته ...

وقال معلماً ومتفلسماً : فقيم إذنت تفكر وتدبر ، ما دام
لا يتفعلنا فكر ولا يفيدنا تدبير ، ولم لاندع الأمور للقدر ونتركها
تجبرى فى أعنتها كما يريد لها مجربها ، ما دمنا لا نملك أنفسنا
ولا نعرف مصائرنا ، وما دام هذا الكون كالمعمل الضخم ،

(*) سجل فى مصر وأذيع من مجلة الشرق الأدنى فى القدس .

وإخافة أهل البنى والبهتان .

ثم سأل : ماذا تعمد بكلمة « أدب » بالضبط ؟ أحسن
تقدير هو أم ماذا ؟

ويبدو لنا أن الذى دعا الطالب النجيب إلى هذا السؤال
ما سبق إلى فهمه من أن الأدب لا يكون إلا من صغير لكبير .
والواقع أن الأدب صفة مطلوبة فى كل معاملة ، كما نطلب
فى أدب الراعى نحو الرعية ، وأدب السيد نحو الخادم ، وأدب
العظيم نحو الصغير .

وأدب النبي هنا هو أدب الربى الذى يتهد أتباعه ومريديه
فيهمى كلامهم لما يصلح له ، ويقوى فيه ما يصلح مع القوة ،
ويضعف فيه ما ليس به صلاح له ولا لغيره . ومما يه عمر إنما هى
مهابة للمدل والحق والإيمان ، فمن الخير أن يبقها له وينتظر منها
النتع للدين ومعتقديه .

وفى الأسئلة بقية ترجع إلى جملة من الكلام على صفات
الفاروق ، بمد رواية ما قيل عن إقامته الحد على ولده عبد الرحمن
وهذه هى الجملة : « لو كان المصدر واحداً مروراً بالحدق فى
القصص لحسبناها من وضعه وتلفيته . ولكنها سمعت من غير
مصدر موثوق به ، فهى أقرب إلى الواقع . »

والسؤال هو : أقصد أنها سمعت من مصدر غير موثوق به
أم أنها سمعت من أكثر من مصدر واحد موثوق به ؟

وعلى قدر ما كان الطالب موقفاً فى سؤاله عن المهابة خانة
التوفيق فى هذه الأسئلة . فلا يمكن أن يكون المقصود مصدرأ
واحداً ؛ لأننا استبعدنا ذلك ، ولا يمكن أن يكون عدة مصادر
غير موثوق بها ؛ لأننا نقول إنها أقرب إلى الواقع ، ولا التباس
بعد هذا فى المعنى لأننا نتقى وحدة المصدر ، ونتقى وضعه وتلفيته
ونقول قبل ذلك عن القصة « إننا لا نستغربها فى جميع تفصيلاتها
إلا حين تطرأ عليها المبالغة التى تسرب إلى كل خير من أخبار
البطولات الشهورة ... »

وبعد ، فهو على كل حال اجتهاد يدل على حب الفهم
والاسترشاد

عباس محمود الهفار

وإنما ناهرا في بيده لا أول لها ولا آخر، وهاموا على وجوههم في مهمة متشابه الأرجاء ، بلا أمل ولا رجاء ، فذهب هذا ينكر القدر ، وزعم أن الحياة ملك للإنسان ، وأحداها صنع بيده ، وراح ذلك ينكر إنسانيته ، ويجحد نفسه ويراها مسهرا في آلة الكون ، وحجرا في جبل ، يدور مع الأرض أنى دارت . وكان هذا متشاعرا لا يرى إلا الذي وقع عن الكرسي فئات ، فاعتقد أن الدنيا دار المصائب ، وكان ذلك مغرورا ، لم يبصر إلا التي وقعت من الطبقة السادسة ولم تمت ، فحسب أنه يسلم من كل أذى .

ونحن مع القدر بشر ، لا آلهة ولا حجر ، والدنيا ليست مصرة كلها ولا مصائب ولكنها مسرة وكدر .:

وأنا كلما فكرت ، وذكرت ما رأيت من الحوادث بعيني ازدادت يقينا بأن أكثر الناس لا يعرفون سر الإيمان بالقدر :

رأيت الترام مرة وقد انكسر بمقوده ، فأحبط من النحدر الهائل عند (الجسر) في دمشق ، وكانت امرأة واقفة بين خطيه بعد المنطف ، فلما رآته مقبلا كالوت النازل ، سمحت رجلاها من فزعها بالأرض ، وجدت ولم يجزئ أحد أن يدنو لإنقاذها فيموت معها ، والوقت أضيق من أن يتسع لشيء ، فأغمضوا عيونهم حتى لا يروا . . . فلما وصلت الحافلة إلى المنحنى تركت الخط وسارت قُدما ، فصدمت جداراً من اللبن ضيقاً ، وصرت منه إلى قوم في دارهم فقتلهم .

ورأيت مرة بيني شباباً بمشون تحت فندق (إيدن بالاس) في دمشق ، فرقع أحدهم رأسه فجأة فرأى شيئاً ساقطاً فتناوله بيديه ، وإذا هو صبي رضيع وقع من شبك الفندق ، وهبطت أمه كالجنونة . وهي امرأة من (حماء) فرأته سالماً . .

ورأى غيرى حوادث مثل هذه الحوادث . وفي كتاب (الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي) مئات من القصص عن نجاة وهو في لجج الهلاك ، وفي كتاب الحياة آلاف من الأخبار عن هلك وهو على بر النجاة .

فاسر هذه العجائب ؟ وكيف عاشت المرأة وقد فرطت وعرضت نفسها للموت بسيرها بين خطي الترام ، ومات قوم اتخذوا كل أسباب الوقاية ، فدخلوا دارهم ، وأغلقوا بابهم ، فشق الترام الحائط ودخل عليهم فدعسهم ، وكيف وقمت البنات فلم تمت ، وتوفت كل يوم مئات من البنات من غير وقوع ؟ .

شباك الآلات ، التمدد الحركات ، وما نحن إلا مسمار صغير فيه ، ير كما يسيرنا (مهندس) الأعظم . . .

وأمرع واحد منا ، فقال مصدقاً : نعم ، ولكننا خلقنا نقاء ، وأقنا هدفاً للمصائب ، ووضعنا في دنيا ما فيها إلا الآلام من سلم منها اليوم وقع غداً ، ومن لم يمت ولده من سقطته مات من عاتقه ، أو مات وهو صحيح معاني ما من الموت بد . . . ولا بد من الموت من البلايا والمتاعب . . .

وتكلم ناك ، يرى نفسه من كبار العقلاء ، فأنكر القدر ، وبعد القدر . وزعم أن الحياة ليست إلا عجيبة في يدك ، أنت يراها وتصورها ، فإن صنعت منها تمثال غادة جميلة كان لك جمالها ، إن عملت منها هولة قبيحة كان عليك قبحها . . . إن مرضت من إفلاك الشتاء وإهالك التوق ، وإن دعست^(١) فن تركك سذر ، وإن افتقرت فن قوموك عن السمي . . . وأمثال ما الكلام .

فقلت له : فلم ولد هذا في دار علم وتهذيب فتعلم وعرف سبل قاية ، وخطر الأمراض ، ونشأ ذلك في بيت جهل وفساد ، سب جاهلاً فاسداً ، لا يعرف كيف يتق الماء ، ولماذا دعس . . . من قلة حذره ، وسلم من هو أقل منه حذراً ، وطريقه أشد طراً ، ولماذا يسمي الرجل حتى تنقطع من السمي أنفاسه ويرجع . . . يصل ولا إلى مثل خفي حنين ، وتأتي الأموال لآخر بلا سمي ؟ طلب ؟ . . .

ولماذا يتاح لهذا النابذة أن يظهر نبوغه ، حتى يكون اسمه يبيها على كل لسان ، وعنواناً في كل كتاب ، ويجهل من هو دمنه ذكاء ، وأكبر موهبة ، وأظهر استعداداً للنبوغ ؟ .

ولماذا ؟ ولماذا ؟ وألف لماذا ؟ لو شئت لسقتها لك فما تطعت الحواب على واحد منها ، فما أنت في الوجود ، هل تسيرت الفلك على هواك ، وهل تسوق الكون إلى غايتك . هل تله ؟ إلك ما كوت نفسك ، ولا شققت بيدك سماءك ؟ بصرك .

قال : فهل ترى أنت أن الإنسان مسير ؟ .

قلت : ما مسير ؟ وما مخير ؟ وما هذه الفلسفة الفارغة ؟ لقد شغل بها البشر ، من يوم بدأوا يفكرون واختلفوا عليها ، بما دلوا ، ولا يزالون يختلفون ويتجادلون ، لم يصلوا إلى شيء .

(١) الدعس : من العان اللعيب .

ونصبوه على السرير ، وجاؤوا بالنسل ليذله ، فلما أحس برد
الماء ، تيقظ ونهض ، فارتاع النسل وسقط ميتاً .

فلا تسأل ما السر ، ولكن جاهد في سبيل الله ، وناضل
عن الحق ، ولا تخف الموت في جهادك ونضالك لأن الأجل
محدود ، فقد تعيش مائة سنة ولو خضت غمرات الموت ، فاعمل
لديناك كأناك تعيش أبداً ، واعمل لأخراك كأنك ميت غداً ،
فتسكون قد ضمنت لنفسك الدنيا والآخرة ، وهذى حكمة
من حكم القدر .

فالإيمان بالقدر حياة لأنه يفتح لك في كل ظلمة شعاع ضياء ،
وفي كل عسرة باب رجاء ، ولولا الرجاء لمات المريض من وهمه
قبل أن يميتته المرض ، ولقتل الجندي في الحرب من خوفه قبل
أن يقتله العدو ، ولولا الرجاء ما كانت الحياة .

ولو تركت الأمور لاحتمالات العقل ، وقوانين المادة ، لما
استطعت أن تنفس الهواء أو تشرب الماء خشية أن تكون فيه
جرثومة داء ، ولا ركبت سيارة لا تحتمل أن تصطدم ، ولا سمعت
بناء لإمكان أن ينهدم ، ولما استولدت ولدناً لأنه قد يموت ،
ولا اتخذت خليلاً لأنه قد يخون ، ولما اطمانت على مال لأنه قد
يسرق ، ولا دار لأنما قد تحرق .

والإيمان بالقدر راحة لأنه لو كان الفشل من عملك وحدك ،
وكان النجاح من صنع يدك لقلعت نفسك أسفاً إن فشلت ،
أو سبقت .

والإيمان بالقدر عزاء ، لأنك إن قدر عليك المصاب بولد ،
فاحمد الله ففي الناس من أصيب بولدين ، وإن خسرت ألفاً ففهم
من خسرا ألفين .

فهل عرفتم الآن ما حكمة القدر ؟

هي أن نجد ونعمل ونسعى ، ونبذل الجهد ، ثم لا نحزن إن
فشنا ، ولا نأس إن لم نصل إلى ما نريد وأن نكون مع القدر كما
يجتاز طريقاً فيه السيارات الزدحمات ، فإن ذكر حوادثها
وأخطارها وحدها لم يستطع أن يتقدم خطوة ، وإن اعتقد من
غروره أنه يستطيع أن يرد عنه السيارة المقبلة ، ويدفع الخطر
الآتي ، لم يسلم ، ولكن إن اتبته وسار بحذر ، فهذا هو العاقل ،
ثم إن يحمد الله أن قدر عليه النجاة ، وإن أصيب ذكر أنه لم
يقصر ، وإنما هو حكم القدر ...

علي الظنطاري

(دمشق)

إن هذا السر ، سر الله لا يعرفه أحد ، فلا تحاولوا كشف
سر القدر ، ولكن استفيدوا من حكمة القدر . وهذا ما سمعت
له حديثي .

ستقولون ، وماذا نعمل ؟ هل ندع أولادنا يستقون من
الشبابيك لا نبالي لأنما إن كانت لهم حياة فسيبث الله لهم حبالا
تمسكهم ، أو رجلا تلتقاهم ، ولتقدم عن الهمي لأنه إن كان لنا
رزق فسيأتينا بلا همي .

لا يا سادة ، ما هذا طريق فهم القدر ، ولا هذه
حكمة القدر .

صحيح أن الرزق مقدر ، فهذا وضع له رزقه على مكتبه ، فإنا
عليه إلا أن يقدم على كرسيه ، ويمسك قلعه ، ويكتب اسمه
الكريم كل نصف ساعة مرة على أوراق تعرض عليه ، وهو
يشرب قهوته ، ويدخن دخينه ، فيأتيه الرزق ؛ وآخر وضع رزقه
في رأس الجبل عليه أن يصعد إليه ، أو في بلد بعيد عليه أن يمشي
إليه ، أو في باطن الأرض ينزل إليه ، أو في جوف البحر ينوص
فيه ، أو في جيبوب الناس يأخذها منها ، ليقبض عليه ، فيتحول
رزقه إلى السجن .

كل يأكل لقمة ، ولكن من الناس من يجيئه اللقمة في
صحفة من الفضة ، ومن يأكلها مغموسة بالدم ، أو مبللة بالمرق ،
أو مملوطة بالرحل .

لا لا تنقل ما سر القدر ، فإنا كشفه حاجة لأحد ، ولكن ،
مادام الأمر مجهولاً ، فاسع أن تأكل أنت لقمتهك بطبق الذهب ،
وجد وابذل الجهد ، فإن لم تصل إلى ذلك وصلت إلى الرضى
والتسليم بحكم القدر وهذى من حكم القدر .

والأجل محدود ، لا يدقمه إذا حضر حذر ، ولا يضرب إن
امتد خطر ، وقد يموت الشاب المسحيج ، ويميش الشيخ العليل ،
ويهلك المنتصم بسبمة أسوار ، ويسلم الجندي الذي يقتحم النار ،
أعزف رجلا من أبطال الثورة السورية ، رمى نفسه على الموت
خمسين مرة فكان الموت يروغ من تحته ويهرب منه ، ثم انتهت
الثورة ، ونام في فراشه ، فاختصم إثنان من السكاري ، فأطلق
أحدها رصاص مسدسه ، فأصاب خطأ رأس صاحبنا الذي نام
فما قام .

ودرى ابن الجوزي أن رجلا أغنى عليه لحسبوه مات ،

الكبير محمد إقبال ، وتكلم السيد علي أصغر حكت رئيس الوفد الإيراني .

وزرت هذا اليوم قبر السلطان جهانكير وهو على بعد أميال من المدينة في حديقة واسعة كقبور سلاطين المغول التي وصفت قبلا ، وهو طبقة واحدة من البناء مربعة يحيط بها عقود مقصية إلى حجرات . وللبناء مآذن أربع في أركانها . وليس في أضرحة آباء جهانكير ما آذن كهذه ، وقد بنى مثلها ابنه شاه جهان في تاج محل ، ولكنه فصلها من البناء وجعلها مسامتة لأركانها كما ذكرت آنفا .

وظاهر أن ضريح جهانكير كان في تاريخ الآثار تمهيدا لبناء التاج .

وفي المدينة من الطرق والأحواض والنافورات ، وفي البناء من جمال الهندسة وإحكامها ، ومن التناظر الذي يسيطر على أبنية التيموريين كلها ما قدمت مثلا منه حينما ذكرت أضرحة هايون وأكبر وشاه جهان (تاج محل) .

ويقضى مدخل البناء إلى القاعة الوسطى وفيها قبر السلطان جهانكير رحمه الله وهو من الرمز الملون مرصم بأحجار أخرى جميلة . وكان فيها من الجواهر أكثر من مائة قطعة نزعها للسيك حينما تغلبوا على لاهور . وعلى الصحيفة التي فوق القبر أسماء الله الحسنى . وعلى الجوانب كتابة فيها :

« مرقد منور أمليحضرت غفران بنه نور الدين محمد جهانكير بادشاه . » والسلطان جهانكير هو السلطان الرابع من سلاطين الدولة التيمورية .

في دار إقبال وعلى قبره :

ذهبت أنا والصدیق الأستاذ علي أصغر رئيس الوفد الإيراني إلى دار إقبال وهي دار صغيرة قابلنا فيها ابنه جاويد وقد سمى إقبال باسمه منظومه « جاويد نامه » وجاويد ممنه خالد . وجاويد نامه كتاب جاويد أو الكتاب الخلد ففيه تورية . ورأيتنا حجرة كان الشاعر الخالد رحمه الله يكتب فيها أشعاره

١٨ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر القومس لدى الماسكة العربية السعودية

في مدينة لاهور :

كانت الإقامة في هذه المدينة قصيرة وكان المقصد الأول من السفر إليها زيارة محمد إقبال فلم أر كثيرا من مشاهدا القديمة والحديثة .

رأيت من آثارها يوم الأربعاء ٢٤ جمادى الأولى مسجد وزير خان . اجتزنا إليه سوفا ضيقة فيها مكتبات تجارية . والمسجد كبير له صحن واسع وفي المصلى عقود مزينة بنقوش وآيات من القرآن وأحاديث وكلمات للصوفية ، ومآثورات من الشعر الفارسي والنثر .



وفي المشى ذهبت إلى قلعة لاهور في صحبة أستاذ أمرسكي خبير بالآثار . وهي قلعة واسعة كثيرة الأبنية ولكن الخراب غالب عليها ، وكان السيك استولوا عليها حينما إذ ملكوا في تلك الأسقاع . ولهم فيها آثار لا تدل على براءة في المهارة والتصوير . والذي يستحق الذكر في هذه القلعة نقوش بالفسيفساء على جدار شاهق على يسار الداخل . وفيها مناظر كثيرة لحيوان ونبات ، وهي من آثار جلال الدين أكبر . ويوم الخميس دعينا إلى حفل في الجامعة الأمريكية ، وكنا زرتها يوم الأربعاء فتكلمت فيما بين مصر والهند من سلات ، وذكرت الشاعر

قادته فدحضت باطلهم ، وأبطلت سحرهم ، ووقفتم للحساب العدل وأبنت الملم وما علمهم ، ولا سبها في كتابك «بها مشرق» إقبال يا شاعر الحياة اكشفت عن قواها . وبصرت بمجرها ومنمها ، وعرفت مفزاها ، وأقت مناها وسواها .

إقبال يا شاعر النفس أوتت خفاياها ، وأظهرت خباياها ، وأبنت ما في «خودي»^(١) من كهرياء ، فيها القوة والنار والضياء . ودعوت إلى أنارة معادنها ، واستخراج دقاتها وقلت .
بركش ابن نغمه كسر مائة آب وكل تست

أى زخود رفته تهى شوز نرای ديكران^(٢)

إقبال يا شاعر (بيخودي)^(٣) أوتت كيف يكون الإبتار ، وكيف ينظم الفرد في الجماعة .

إقبال يا شاعر الحرية أشدت بذكرها ، وأكبرت نعمتها ، ودعوت إليها كاملة ، وأردتها شاملة ، وأبغضت العبودية في شتى مظاهرها ، وبختلف صورها .

إقبال يا شاعر الجهاد والدأب ، والكفاح والنصب ، قلت إن الحياة جهاد مستمر ، وكفاح لا يفت ، وإن الحياة في الموج الهائل ، والموت في سكون الساحل .

إقبال يا شاعر التجديد والتقدم ، قلت إن الحياة حركة متجددة تكبره التكرار ، وإقدام دائم يأبى التقهقر ، ودعوت الإنسان أن يمضى قدما في الحياة مبتكرا مقدما ، له كل حين فكرة . وفي كل ساعة نعمة ، ويبنت أن التقدم والابتكار ، هما فرق ما بين العبيد والأحرار .

إقبال يا شاعر الجمال ا صورته في الأرض والسماء ، واليبس والماء ، وفي الصحارى الجرداء ، والحدائق الغناء ، وفي الصبح والمساء ، والضياء والظلماء ، وصورته في كل خلق كريم ، وفي كل نزع سامية .

(١) خودي : فارسية معناها الذاتية . وقد نظم إقبال منظومة طويلة سماها أسرار خورى .

(٢) مناه : أخرج النعمة التي من سر فطرك يا من ضل عن نفسه أخل شك من نجات الآخرين .

(٣) لإقبال منظومة سماها . بيجودي بيني اللاتينية .

ومقالته وفيها فاضت روحه . وهي حجرة تقع على مسفرها ذكريات لا يسعها الذكر .



وجلسنا ساعة نتحدث مع جاويد . وقد أهدى إلينا بعض صور والده .

وفي العشي ذهبنا لزيارة قبر إقبال وهو في الحديقة المحيطة بالجامع الكبير الذي بناه السلطان محي الدين الملقب أورنك زيب (زينة المرش) وهو جامع فسيح جداً يشبه جامع دهلي الكبير الذي بناه شاه جهان ، ولكن ليس فيه من الحلى والزينة والنقش والتجلية بالرخام الممزج ما في جامع دهلي . كان شاه جهان كلفاً بتشيد الأبنية وترتيبها وقد أتم في التشيد والترتيب . وحسبه تاج محل . وكان ابنه أورنك زيب زاهداً لا يبال بالزينة والأبهة . وإلى جانب الجامع على مقربة من مدخله حجرة لم يكمل بناؤها فيها قبر الشاعر الفيلسوف محمد إقبال .

زرنا القبر في جلال الموت وروعة الذكرى ثم جلسنا في حفل أعد لاستقبالنا هناك بجانب الحجرة التي فيها الضريح ، وأهديت إلينا منظومات إقبال الفارسية ، وتكلم الأستاذ على أصنر وغيره وأقيت الكلمة الآتية :

إقبال

إقبال يا شاعر الإسلام أوتت مقاصده ، وجلوت فضائله وأضأت مسرجه ، وأوتت منهاجه ، ودعوت المسلمين إلى المجد الذي يكافئ دعوتهم ، ويلائم سنتهم ، ويناسب تاريخهم .

إقبال يا شاعر الشرق ، أشدت بآثره ، ونفرت بروحانيته ، وأخذت على الغرب المادة الصماء ، والفرور والكبرياء . وتقدت

إن أزورك في حياتك ؛ ثم تمنيت أن أزور ضريحك بمدامانك .
وهأنذا أشرف بأن التي أمامك هذه الكلمات ، وأودع ضريحك
هذه الزهرات (١) .

عرب يهدى لروضك زهرا ذافخار بروضه واعتراز
كلمات تضمنت كل معنى من ديار الإسلام في إيجاز
بلسان القرآن خطت ففيها نفحات التنزيل والإيجاز
فأقبلها على ضالة قدرى

فهي في الحن «أرمقان» الحجاز (٢)
لقد ضمنت آثارك لك الخلود في هذه الدنيا ، وعند الله جزاؤك
في العقبى جزاء المجاهدين الخالصين .

والذين جاهدوا قينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .

عبد الوهاب عزام

(١) هذه الأبيات نظمها في دهل وتشتت على لوح من الرخام وحلتها
إلى لأزهور فوضت على قبر محمد إقبال .
(٢) سمي إقبال آخر منظوماته « أرمقان حجاز » أي هدية الحجاز ،
ولم تنشر هذه المنظومة الا بعد وفاته .



إقبال ! أيها الشاعر الملمم . بانت لك الأمرار ، ورفعت عن
التيب الأستار قرأيت الباطن كالظاهر . وأدركت المستقبل
كالخاضر .

إقبال يا شاعر الإسلام ! يا شاعر الشرق ، ويا شاعر الحياة ،
ويا شاعر الإنسانية ، ويا شاعر الحرية والجهاد ، والتجديد والتقدم
والآفة .ام ويا شاعر الجمال والجلال .

لقد حينك على بعد الديار وشط الزار ، وأشدت بذكرك ،
وعرفت بفضلك ، وأهديت إليك منظومة الامعات جوابا لكنايبك
وموزخردى رأسرار بيخوردى .

وأنا اليوم أحييك على القرب ، وسيان في عظامتك القريب
والبعيد . إن هذا الضياء لا يمتد بالسنافات . ولا تيمد عليه الغابات
إن هذا العكر الذي يطوى الآفاق ، ويخترق السبع الطبايق ،
لا تختلف عنده الأرجاء ، فالقريب والثاني لديه سواء . كان من أمانى

جامعة فاروق الأول

كلية العلوم

إعلان

تعلن كلية العلوم بجامعة فاروق
الأول عن حاجتها إلى معيدين بقسم
الحيوان ويشترط في راغبى الالتحاق أن
يكونوا حاصلين على بكالوريوس علوم
بدرجة ممتاز أو جيد جدا على الأقل ويفضل
حاملو الدرجة الخاصة - وترسل الطلبات
بإسم حضرة عميد كلية العلوم بحرم بك
بإسكندرية لغاية يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٨
٨٦٠٧ -

٢ - الفتنة الكبرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

→→→→→

وإذن ، فقد أراد الدكتور طه أن يقول إن الفتنة الكبرى التي أفضت إلى قتل عثمان إنما كانت « فتنة عربية نشأت من تراحم الأغنياء على النبي والسلطان ، ومن حسد العامة العربية لهؤلاء الأغنياء » في ص ١٠٩ فن أجل تحقيق هذه الكلمة الكبيرة ركب كل مركب في تصوير الحياة الإسلامية الأولى بعد الفتح بالصورة التي تنتهي به إلى هذا الغرض وحده دون سواه ، وهو النبي والنسالة والسلطان ، وتراحم الأغنياء على النبي والمال والسلطان ، وحسد العامة العربية لأصحاب النبي والمال والسلطان . وأنا - كما قلت آنفاً - لن أحاول أن أنقض هذه الصورة ، ولن أعمل عملاً في الرد عليها إلا بمقدار ما ينبغي في سياق التحقيق التاريخي لناحية من نواحي هذه الفتنة . ولكن الدكتور كشف عن هدف آخر حين جاء ممرض هذه الفتنة ، فنفي خبر عبد الله بن سبأ اليهودي ، وخبر الكتاب الذي كتب فيه الأمر بقتل رؤوس وفد مصر . وهذا الهدف هو أن ينفي عن اليهود الشركة في دم عثمان ، والتحرير على قتل الإمام ، فركب مركباً وعمراً خالف فيه أسلوب العلماء في جرح الأخبار ، وكذب الرواة في شيء بنير برهان ، وصدقهم في شيء آخر بنير برهان أيضاً ، وهو نفسه ينفي في كتابه على « الذين يكذبون الأخبار التي نقلت إلينا ما كان بين الناس من فتنة واختلاف » فقال في ص ١٧٢ : « فنحن إن فعلنا ذلك لم نزد على أن تكذب التاريخ الإسلامي كله منذ بعث النبي ، لأن الذين رووا أخبار هذه الفتن ، هم أنفسهم الذين رووا أخبار الفتح وأخبار المغازي وسيرة النبي والخلفاء . فما ينبغي أن نصدقهم حين يروون ما يروونه ، وأن نكذبهم حين يروون ما لا يعجبنا . وما ينبغي أن نصدق بعض التاريخ ونكذب بعض الآخر ، لا لشيء إلا لأن بعضه يرضينا وبعضه يؤذينا . بيد أن الدكتور طه نفسه ، قائل هذا الكلام ، قد فعل ذلك فكذبهم حين روى الرواة ما لا يعجبه ، وحين رووا ما يؤذيه . وفعل ذلك أيضاً فصدقهم حين رووا ما يروقهم ، وحين رووا

ما يرضيه . فإن الذين رووا أخبار النبي والمال والسلطان ، هم الذين رووا أخبار عبد الله بن سبأ اليهودي وأخبار الكتاب الأمر بقتل وفد مصر ، فلم أخذ شيئاً بنير برهان ، ونفي أخاه بنير برهان ؟ والنبي ، البشير هو أن الدكتور الجليل أراد كما قال في ص ١٣٤ أن يكبر المسلمين في صدر الإسلام « عن أن يبعث بدينهم وسياساتهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبيل من صنعاء وكان أبوه يهودياً ، وكانت أمه سوداء ، وكان هو يهودياً ثم أسلم لا رغبا ولا رهبا ، ولكن مكرراً وكيداً وخداعاً » . وهذا قصد حسن ونية جميلة ، ولكن الحق أحسن منهما وأجمل . وليس يجمل بنا ولا بالدكتور طه أن بغالط في الحق لشيء يراه هو أو يراه نحن حسناً جميلاً . والتاريخ لا يكتب بالتحكم ، وإنما يكتب بالرواية ، ثم بالاستدلال ، ثم ببذل الجهد في سد الفجوات ، وسبيل ذلك أن تأخذ من الماضي أسباباً وعللاً وحوادث ذات خطر ، فإن استقامت أن تمتد معك إلى الحاضر الذي تؤرخه ، فهي حقيقة بأن تكون شيئاً من التاريخ يوشك أن يكون حقاً كماه أو بعضه .

ولست أحب أن أعلم الدكتور طه ، ولكني سأضع بين يديه حقائق لا يدخلها الرب أبداً ، ثم أسأله أن ينظر فيها ، وأن يحكم هو بيني وبينه . وسأختصر القول اختصاراً ، فإن أكثر مادة هذا الحديث مما لا أظن بالدكتور أن يفهمه أو يفهم عنه . فلنعد إلى حديث قديم كان قبل البعثة بقليل ، وكان شديد الخطر في تاريخ العرب ، وكان يوشك أن ينتهي إلى حديث جليل في تاريخ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كان يسكن هذه البلدة الكريمة بنو أم واحدة وأب واحد من قبائل الأزد ابن القوث : أمهم قيلة ، وأبوها حارثة بن ثعلبة ، وهؤلاء هم لأوس والخزرج ، وكان يعيش بينهم هذا الجليل من اليهود الذي سكن جزيرة العرب ، أو سكن المدينة ، فكان من خبر ذلك شيء لم يكن مثله مثلاً بين بني هاشم وبني أمية ، وهو الحرب المتطاولة بين هذين الحيين اللذين ولدتهما أم واحدة وأب واحد ، ويسكنان معاً بلدة واحدة . وظل هذا القتال بين الحيين متجدد النيران إلى أن كان « يوم بُعث » وهو كما قال ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١٣٥ : « آخر وقعة كانت بين الأوس والخزرج في الحروب

يجلس إليهم فيذكر « يوم بيات » وما كان قبله ، وينشدهم
بعض ما كانوا تناولوا فيه من الأشعار . فيقبل هذا اليهودي ،
فإذا الجماعة المؤتلفة على الإسلام تتنازع وتتفاخر ، فيتوالب
رجلان من الأوس والخزرج ، فيقول أحدهما لصاحبه : « إن
شئتم رددناها ، لأن جذعة » ، ويتضرب الفريقان جميعاً ويقولون :
« قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة (بمنون مكاناً بعينه) » ويتداعون :
« السلاح السلاح » . ويخرجون إلى موعدهم ، فيبائن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخبر ، فيخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين
من أصحابه حتى إذا جاءهم قال : « يا معشر المسلمين ! الله الله !
أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام
وأكرمكم به ، وقطع عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من
الكفر وألف به بينكم ؟ » فيعرف الأنصار ، أوسهم وخزرجهم ،
أنها نزعة من الشيطان وكيد من « عدوهم » ، فييكونون
ويتمانقون ، ثم ينصرفون مع رسول الله سامعين مطيعين قد
أطاعوا الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس اليهودي . (عن
ابن اسحاق وغيره) .

وأنا ألت أروى لك هذا إلا لتقف على كيد يهود كيف كان ؟
ولتعرف كيف كان ترفقهم إلى إثارة المداوة بين هذين الحيين
منذ قديم ؟ ولتتظر لم كانوا يحبون أن تغل هذه المداوة حية
متوقفة لياً كلوا من ثمراتها مالا وغلبة وسلطاناً على العرب ؟
ولتقارن هذا كله بما لا يزال يجري إلى أيامنا هذه على يد هذه
الشرذمة الخبيثة من بني إسرائيل !

ثم ينزل الله جلت أمماؤه في أمر هذه الفتنة يخاطب المسلمين
الذين كان رسول الله بين أظهرهم ، لم يمّت بعد : « يا أيها الذين آمنوا
إن تُعليعوا قريباً من الذين أوتوا الكتاب ردوكم بعد إيمانكم
كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تلى عليكم آيات الله وفيكم
رسوله ، ومن يتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وإذئ ، فنحن لا نستطيع أن نكبر أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج عن أن يظلموا قريباً
من اليهود حتى كادوا بردوسهم بعد إيمانهم كافرين ، ولا أن نزههم
عن ذلك وهم تلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله ! كما فعل الدكتور
طه حين أراد أن يزه أهل الصدر الأول من الإسلام في سنة ١٩٣٣

التي كانت بينهم . . . وكانت هذه الوقعة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة قد تنبأ ودعا إلى الإسلام ، ثم هاجر بعدها بست
سنين إلى المدينة » .

ونشأة هذه المداوة المحيية بين الأخوين : الأوس والخزرج ،
واقتمالها هذا القتال المر العنيف حقاً متطاولة ، ودخول اليهود
في الحلف ، بعضهم مع الأوس وبعضهم مع الخزرج ، لا يصيبهم
من أذى القتال بين هذين الحيين الأخوين إلا القليل ، وتدابيرهم
باسم اليهودية إذا حزب الأوس ، فيكونون بدأ واحدة على هذه
الرب ، ليس له معنى إلا أن تكون هذه اليهود هي التي أرتت
الحرب والمداوة بينهما لتؤثّل في هذه الأرض أموالاً وأطاماً
وحصوناً تكون لها عدة وقوة ، وتظهرها على أهل البلاد المالكين
لها ، وتصرف وجه هؤلاء القوم عن الزراعة والتجارة وتتمير
الأموال ، وتبقى يهود هي صاحبة لزراعة والتجارة وتتمير الأموال
بالزبا وما كل السحت . وهذا عمل يهود في كل جيل ، وفي كل
أمة ، وفي كل زمان إلى يوم الناس هذا .

ثم لا يلبث أن باق رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً من
الخزرج عند العقبة ، وكانت يهود كما قال ابن اسحاق ، قد عزّوهم
ببلادهم ، أي غلبهم عليها واستأثروا بها ، فلما دعاهم رسول الله
إلى الإسلام قالوا له : « إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من المداوة
والشر ما بينهم ، فمسي أن يجهمهم الله بك . فستقدم عليهم
وندعوم إلى أسرك ونمرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا
الدين ، فإن يجهمهم الله عليك ، فلا رجل أعز منك » . فيؤلف
الله قلوب الأوس والخزرج ، وهما الأخوان ، على الإسلام فينشو
فيهما فشواً ظاهراً . ولا يلبث رسول الله أن يهاجر إلى المدينة ،
فلا يبقى حي من الأوس والخزرج إلا دخله الإسلام وظاهر فيه .
فيمر شأس بن قيس من يهود بني قينقاع - وكان شيخاً عظيم
الكفر شديد الضمن على المسلمين شديد الحسد لهم - على نفر
من أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج ، فيتميزه ما رأى
من ألفهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم
من المداوة في الجاهلية ، فيقول : « قد اجتمع ملائكتي قيلة
(يعني الأوس والخزرج) بهذه البلاد ! لا والله ما لنا معهم إذا
اجتمع ملائمتي بها من قرار » . فيأمر فتى شاباً من يهود أن

أهل الكتاب آمنوا بالله أنزل على الذين آمنوا رُجِه النهار
واكفروا آخره لعلمهم يرجعون .

وهذه الآية وسبب زولها يدل دلالة صريحة على أن أهل الإسلام
الأول ، كانوا لا يزالون يمدون الحلف بينهم وبين يهود حلفاً
صادقاً لا غش فيه ، وأن يهود كانت تظهر المودة وتحنق أشد
العداوة وأشد النفيظ على هؤلاء الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم ، وأنهم كانوا يتخافتون بهذه العداوة ، وأنهم كانوا يمدعون
هؤلاء المؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ، حتى إذا صدقهم
بعض المؤمنين عادوا فأظهروا الكفر لينتوهم ويخدعهم عن
دينهم . فإذا صح هذا ، وهو صحيح ، ورسول الله بين أظهرهم ،
فهو أحق بالصحة في سنة ٣٥ من الهجرة ، لا تكبر أهل الصدر
الأول من الإسلام عن أن يقعوا في مثله وفي أشد منه .

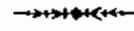
ويستطيع الدكتور طه ، ويستطيع كل من أطاق القراءة ،
أن يقرأ كتب السير والغازي منذ هاجر رسول الله من مكة إلى
المدينة ، إلى يوم دعاه ربه إلى الرفيق الأعلى ، فيسجد أنه لا تكاد
تنتهي وقعة بدر الكبرى بالنصر الأعظم لجند الله حتى يسلم رأس
النفاق عبد الله بن أبي سلول وجماعته من المنافقين ، وكانوا
أعران يهود ، ومن يومئذ ينفجر النفاق ويستشري خطره ، حتى
تنزل فيه الآيات الكثيرة ، وحتى يطلع الله رسوله على خبايا
نفسهم وعلى أعيانهم . ومن يومئذ يجاهر بعض اليهود بنقض
العهد الذي كتبه رسول الله بينه وبينهم عند مقدمه المدينة ،
فيكون مقتل اليهودي أبي عَنَفَك ، ثم تكون غزوة يهود بني قينقاع ،
ثم استماتة أبي سفيان بن حرب يهود بني النضير ينقلون إليه
أخبار نبي الله . ثم يكون ما كان في يوم أحد من خروج عبد الله
بن أبي ابن سلول المنافق مع رسول الله حتى إذا بلغ رسول الله
أحدًا انحزل ابن أبي في كتيبة أشياعه وهو يقول : « أيسبني
ويطبع الولدان ؟ » ، ثم يهزم المسلمون ، فإذا عادوا إلى المدينة
سُميت بهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه المنافقون ، وأظهرت
اليهود القول السوء يقولون : ما محمد إلا طاب ملك ما أصيب
هكذا نبي قط ما أصيب في بدنه ، وأصيب في أصحابه : ثم لا تمضي
خمسة أشهر حتى يحاول يهود بني النضير قتل رسول الله غدرًا
حين جاء منازلهم ، فأتمروا أن يطرحوا عليه صخرة من فوق البيت

من الهجرة بمد أن قبض الله إليه نبيه بأكثر من عشرين سنة ،
وبمد أن نشأت ناشئة من الشباب لا يدعى أحد أنهم جريماً كانوا
أحرص على إيمانهم من أصحاب محمد وأنصاره الأولين . وهذا خبر
واحد روته ، فإن شئت أن أروي الأخبار كلها لما وسمي كتاب
أشرح فيه أمر هذه الفتن التي أرثتها اليهود في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولا يسمي أن أنص على كل آيات كتاب الله
التي نزلت في أخبار هذه الفتن . وحسبي أن أذكر من نسي أن
أخبار المنافقين والآيات التي نزلت فيهم ، كانت كلها في المدينة
لا في مكة ، وأن ذلك دليل على أن النفاق كان حيث تكون يهود ،
وأن « الأعراب » لم يذكروا إلا في السور المدنية مقرونًا بالنفاق
والمنافقين ، وأن قول الله تعالى في سورة براءة (الأعراب أشد
كُفراً ونفاقاً) نزلت في بني أسد وغطفان ، وهم كانوا حلفاء يهود
في الجاهلية وفي زمان الإسلام . وهذا نبي أرجو أن يتذكره
الدكتور حتى تعود إليه .

ولم يكن كل هذا المكر والكيد والإيقاع عملاً جاء عفو
الخطأ من يهود ، ولا كان مأتاه من إساءة لحقتهم من حلفائهم
الأوس والخزرج من المؤمنين غير المنافقين ، بل هو شر انطوت
عليه يهود لا يزالهم ولو أحسن السلوك إليهم ، وهو حقد
وضئينة وكفر وعدوان على أهل هذا الدين ، وهم كما وصفهم الله
أشد الناس عداوة للذين آمنوا بمحمد صلوات الله عليه . ودليل
ذلك أن رجلاً كثيراً من الأوس والخزرج كانوا يواصلون رجلاً
من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية ، فكانوا
يصفونهم المودة بهذه الأسباب ، ويستنصحوهم في أمورهم دون
أن يشكوا فيهم أو يتوجسوا منهم خيفة . فأزل الله في محكم
كتابه بينهم عن فعل ذلك : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يآلؤنكم خيلاً ودُّوا ما عنتم قد بدت
البغضاء من أفواههم وما تخنق صدورهم أكبر ، قد بينا لكم
الآيات إن كنتم تعلمون . ها أنتم أولاد تحبونهم ولا يحبونكم
وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا
عليكم الأنامل من النفيظ ، قل مؤنوا بغيركم إن الله عليم
بذات الصدور . » هؤلاء الذين قالوا آمنا هم الذين نزلت فيهم
الآية السابقة قبل هذه في سورة آل عمران : « وقالت طائفة من

إسماعيل النشاشيبي

للأستاذ أحمد لطفي السيد



اختار الله لجواره في الأسبوع الماضي الكاتب الشهير إسماعيل النشاشيبي زعيم الأسرة المرووفة في فلسطين منذ القرن التاسع الهجري إلى اليوم .

ارتقى - رحمه الله - إلى أعظم المناصب الحكومية في عهد الحكومتين العثمانية والحاضرة - بجده واجتهاده ، فكان المقتض الأول للغة العربية في فلسطين - نظم المدارس وأصاح التعليم في هذا القطر الشقيق - ونشر علم العربية عالياً تشهد بذلك مؤلفاته ومقالاته الدائمة الصيت في العالم العربي - وقد كان السيد إسماعيل بك شديد الحنين لوطن أسرته الأول مصر - فكان يزورها كلما سنحت الفرصة - وهو فوق ذلك يؤلف

فيها الكتب - ويحكي علماءها وشمرائها وزعماءها - ويتعرف إلى أحيائها وأمواتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً - وحادثة وقوفه بين يدي المغفور له سعد باشا مرووفة مشهورة .

ونحن بهذه المناسبة نكشف لقراء الرسالة الغراء عن أصل هذه الأسرة المصرية الكريمة حتى نقر عين الصديق الراحل بكلمة وفاء صغيرة من أحد أبنائه المعترفين بفضلها ... يتصل أول هذه الأسرة بالشيخ المعتقد أحمد بن رحب النشاشيبي - سمي بذلك لأن أجداده كانوا يحترفون صناعة النشاب - وكان الشيخ أحمد المذكور من رجال السلطان الملك الظاهر جقمق - كان خازن داره الخاص في أيام إمارته الأولى في فجر القرن التاسع الهجري - وتوفي الشيخ أحمد المذكور على عهد المؤرخ الشهير ابن تفرى بردى صاحب كتاب النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة وقد وصفه بقوله : (الشيخ المعتقد أحمد بن النشاشيبي كان خيراً يحب العلماء الصالحين) وترك ابنه الأمير ناصر الدين محمد وهو غرة هذا البيت وواسطة هذا المقعد وطراز هذه الحلية

من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يرتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالذي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون . لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون . وهذه الصفة التي وصفهم الله تعالى بها ، لم تنقطع ولن تنقطع ما بقي على الأرض مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وسترى في الحكمة الآتية كيف استطاع اليهود أن يفسدوا على المسلمين أموراً كثيرة ، وأن يثيروا فتنة كادت تذهب بالإسلام كله لولا أن الله قد وعد عباده أن يظهر هذين الذين كله ولو كره الكافرون .

محمد محمد ساكر

الذي هو تحته ، فجاءه الوحي بما هموا به . ثم يخرج أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي بمد أشهر إلى « غطمان » ومن حولهم من مشركي العرب ، يغريهم بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ...

ولا تزال تمضي من حدث إلى حدث ، ومن غدر إلى غدر ، ومن نفاق إلى نفاق ، واليهود رأس ذلك كله ، والماملون عليه ، والموغلون فيه ، إلى أن تنتهي إلى خير اليهودية التي وضعت السم في الشاة ودعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخير ، فأكل من شاتها ثم نبي أنها مسمومة فلفظها .

فما معنى هذا كله ؟ معناه أن اليهود لم يقتر لهم لسان ولا يد ولا غش ولا غدر ولا خديعة ولا سفن منذ ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن هذه الشجاعة لم تكن عن إساءة لحقهم من الذين آمنوا بل كانت عصبية يهودية محمداً ، وخليفة مرابكة في طباع هذا الجنس من البشر ، وأن النفاق كان طرفاً من دسائسهم ومتنفساً لأضغانهم على أهل هذا الدين ، وأن الله قد وصفهم وصف الحق إذ يقول تباركت أسماءه : « لئن الذين كفروا

نائب السلطان خضر بك وكان يناصره قاضي المالكية شرف الدين بن يحيى المغربي فكثرت الشكاوى في حقها فمزل الأمير ناصر الدين القاضي بناء على أمر جاءه من القاهرة فلما كانت سنة ٨٩٣ هـ توجه خضر بك نائب السلطنة والأمير ناصر الدين ناظر الحرمين الشريفين إلى القاهرة ومثل كلاهما بين يدي السلطان فمزز السلطان خضر بك وأمر بمزله والنس الأمير ناصر الدين من السلطان أعناه . من الخدمة فتوقف السلطان ولكن الأمير ناصر الدين ألح في طلب الاستفتاء فأعفاه السلطان من الخدمة كارها لنزاهته وعفته واستقامته .

قال الشيخ المليمي ودخلت سنة ٨٩٢ والوظيفتان شاغرتان النياية والنظر قال ثم عين السلطان دقاق في نظر الحرمين فكان بعكس سلفه ظالماً فاجراً .

قال السخاوي في كتابه الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع كان الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي من أهل الخير والصلاح حفظ القرآن الكريم وهو صغير وجوده على ابن كوزلبينا والزين طاهر وآخرين وبعد أن ذكر خدماته في القدس والخليل قال وصرفه السلطان قايتباي بدقاق . والمليمي يؤكد أن النشاشيبي هو الذي استعفى من تلقاء نفسه وأن السلطان ألح عليه في البقاء في نظير الحرمين فرفض ألح وصاحب الدار أدرى .

ولم ينس الأمير ناصر الدين تلك البلاد التي صرف فيها زهرة العمر فرجم إلى القدس ونائل الدور والقصور والحقول والبساتين وانتهت الأسرة كلها بالانتقال من مصر إليها منذ القرن التاسع إلى الآن ...

وبعد فهذه لمة صميرة عن أصل هذه الأمير الشهير والكااتب النحرير والحجة الثبت والذوي الضليع عظيم القدس والخليل البلد المعلوم وموطن القبر الموهوم الذي من أجله تقاتل الأخوان كلهم وحشان قرونا وأجيالا حتى اصطفت الأراضى المقدسة بالدماء فشربتها شرب الميم ولم يبق فيها دعاء إبراهيم وهي اليوم كما كانت بالأمس وأسفا والفرق في الأيام فقط فتلك حروب صليبية وهذه حروب صهيونية تدور حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أحمد لطفي السيد

ولد في مصر سنة ٨٢١ هـ وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم في صغره وجوده على أشهر علماء عصره ثم اتصل كأيته بخدمة الملك الظاهر جقمق . وفي سنة ٨٧٥ اختاره الملك الأشرف قايتباي لوظيفة ناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) فدام في هذه الوظيفة ما يقرب من الثمانية عشرة عاماً ، كانت كلها خيراً وبركة على القدس والخليل وأهلها . وقد فصل المليمي في كتابه تاريخ القدس وأخيل حكم هذا الأمير لتلك البلاد مقال كانت أيامه كلها مواسم ... وناهيك بهذه الشهادة من شاهد عيان .

وحتى يكون القارئ على بينة من سر حنين المرحوم إسماف بك لوطن أمرته الأول مصر نفصل له قليلاً من أخبار الأمير ناصر الدين في القدس وكيف استقرت فيها هذه الأسرة المصرية الكريمة منذ خمسة قرون إلى الآن ... قال المليمي في حوادث ٨٧٣ هـ كثرت الفتن في القدس بين نائب السلطنة (حاكم القدس) دمرداس وناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) برد بك التاجي واشتد الخلاف بينهما وكثر القيل والقال فأدى الحال إلى انفصال الأخير عن نظر الحرمين الشريفين وعين السلطان قايتباي الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي أحد الخازندارية بالخدمة الشريفة (أحد رجال الديوان المالي كما هو متعارف اليوم) للكشف عن أوقاف الحرمين الشريفين بالقدس والخليل وتجريب أمرهما وإصلاح ما فسد من نظامها فحضر إلى القدس وأصلح ما فسد من أيام برد بك التاجي وعمر المسجد الأقصى وصرف العالم (المرتبات) واستبشر الناس بالخير وعد ذلك من بركة الأمير ناصر الدين ثم توجه إلى مصر في آخر سنة ٨٧٤ هـ وفي سنة ٨٧٥ استقر الأمير المذكور في نظر الحرمين الشريفين ودخل إلى القدس في يوم مشهود وشرع في عمارة الأوقاف بهمة وشهامة وحصل للأراضى المقدسة الجمال بوجوده وكان يكثر من مجالسة العلماء والفقهاء ويمسح إليهم باليسر والقبول . وفي سنة ٨٧٧ هـ شرع في عمارة الصخرة الشريفة وانتهى العمل فيها في سنة ٨٧٨ هـ وفي هذه السنة خلع عليه السلطان قايتباي وعلى القاضي شهاب الدين بن عبيسه ووهبها ألف دينار وحضر الانتان إلى القدس وعليهما خلة السلطان فكان يوماً مشهوداً ...

وفي سنة ٨٩٢ هـ اشتد الغلاء بالقدس والخليل وسامت سيرة

طرائف من العصر المملوكي :

ابن حجر الأديب

للأستاذ محمود رزق سليم

—♦♦♦—

أعني ابن حجر هنا ، شهاب الدين أبا الفضل أحمد المسقلاني المصري . النسب إلى عسقلان من بلاد الشام ، والولود بمصر — الفسطاط — والذي عاش بين سنتي ٨٧٧٣ ، ٨٥٢ هـ . فإن هناك ابن حجر آخر ، وهو الهيثمي من علماء العصر العثماني . أما ابن حجر المسقلاني فهو أشهر من أن يشار إليه ، ولجل من أن تكتب عنه بحالة ، وأحرى أن تؤلف فيه رسالة مسهبية فيأضه ثم عن علمه وتحدث عن فضله . فإن آفاق علمه واسعة ، وفجاج فضله رحبية . وهو في الجهة الأولى بين علماء العصر المملوكي . وفي الصف الأول بين نابقيه ، ومن نبه العصر بنباهته ، وسما بسمو مكانته .

أخذ العلم عن أئمة زمانه كالزبير العراقي ، والسراج البلقي ، وابن المقن والإيناسي ، والمزبن جماعة ، والمجد الفيروزآبادي ، والمهاري والبدرايشكي — وطوف في آفاق مصر ، وربوع الشام ، وجال في نواحي حلب ، وحج إلى بلاد الحجاز ، وزار اليمن ، فأفاده التجوال علماً غزيراً وأديباً جماً وخبرة صائبة ومعرفة سديدة . وفرة في العلم حتى تصدر للافتناء وقعد للتدريس وعكف على التأليف . وولت إليه مناصب عدة من مناصب الدولة من بينها قضاء الشافعية ، فنبه فيها شأنه بكفائته ومهابته . فمظم في أيون أهل جيله وعلى رأسهم السلطان الملك المؤيد شيخ صاحب جامع المؤيد المشهور ، الذي كان ابن حجر في مقدمة هيئة التدريس فيه . لم يقتصر روز ابن حجر على مادة علمية واحدة بل تجاوزها إلى غيرها . فقد أغرم بالحديث النبوي الشريف فتلقاه عن حفاظه . وظل يجمعه ويحفظه حتى غدا أحفظ أهل زمانه . وعنى بالتأليف فيه وفي تاريخ رجاله ، فوضع كتباً عدة منها كتابه المشهور « فتح الباري » الذي شرح فيه صحيح البخاري ، وقدمه بمقدمة جلية سماها « هدى الساري » . قال بعضهم « لو وقف عليه ابن خلدون

القائل بأن شرح البخاري إلى الآن دين على هذه الأمة ، لقرت عينه بالوفاء والاستيفاء » . وقال عنه السخاوي في الضوء « إن هذا الكتاب لم يسبق نظيره وكان أسراً عجيباً » . والحق أنه كان فتحاً ميبناً في تاريخ شرح الحديث — ولا ابن حجر عشرات الرسائل في الحديث ورجاله ومصطلحه .

ودرس ابن حجر فقه الشافعي حتى نبغ فيه وأصبح رأساً بين فقهاءه ، واختير لذلك قاصياً لقضاء الشافعية وظل بين تبيين وعزل قرابة إحدى وعشرين سنة ، بعمق وجدارة . وأقبل على التاريخ وعلى التأليف فيه حتى كون ببعض مؤلفاته حلقة هامة من حلقات تلك السلسلة الفريدة من كتب التاريخ التي صنفها مؤرخو مصر في تاريخها وتاريخ رجالها . ومنها « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » .

وتخرج به طائفة من الفضلاء ومنهم تلميذه الأثير شمس الدين السخاوي صاحب « الضوء اللامع » ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري . وهكذا جمع ابن حجر الفضل من أقطاره ، والمكارم من آفاقها . وإذا ذهبنا نمد مؤلفاته وأعماله ونذوه بخطرها وجلال قدرها ضاق المقام وأعيى الكلام .

وما بنا من رغبة هنا إلا أن نبرز ليزة من مميزات قد يكون انتابها شيء من الخفاء ، فاحتجب خبرها ونعم ذكرها ، وتلك هي أدبه .

لقد كان ابن حجر أديباً له نفسية الأديب وحماسيته ، وله عطفته وشعوره . وله تأثره وإنتاجه ... ولكنه انشاق بدافع من روح عصره إلى طلب الحديث ودراسة الفقه وعلوم الدين ، فبرز في ذلك كله بروذا تظامن أمامه بروزه في فنون الأدب .

لقد كان بالمصر تبهم للأدب وانصراف عن الأدباء . ولولا ثقة انبثت في نفوس الأدباء بأدبهم ، وولوع شاع فيهم بفهمهم ، لتجهموا للأدب في المتجهمين ، ولا نصر فوا عنه مع المنصرفين . وقد كان ابن حجر من هؤلاء الأدباء ... ولكنه كانت به إلى جوار ذلك نزعة طائفة إلى المجادة ، ورغبة جامحة إلى معالي الأمور؛ وشعر حينذاك أن الأدب لا يبيل أوام أديب ولا يؤدم أعمته ، فضلاً عن أن يسدل عليه أردية المجد ضافية ، ويرسخ فوقه أبواب الجلاء سابقة ، فإذا ركن إلى الأدب وحده اعتاص عليه السيل

مناسبات الأدباء لم يدل عندها بدلوها في الدلاء . فدرج وهنا وتفرز وشكا ورثى وعانق وتشوق وحن ، ووصف ، ونظم في المدح النبوي والنزوح وحاجي وتفكك وراسل وساجل ودرج القصائد الطوال ، وقطع المقطعات الصغار . وأولع في رفق وكياسة ولطف وسياسة بما أولع به أدباء عصره ممن شغفوا بتمام القاضى الفاضل أو تخرجوا في مدرسة ابن نباتة ، فوردى وضمن واقتبس وطابق وجانس . إلى غير ذلك .

وفضلاً عن أن شعر ابن حجر قد انتثر في بعض مؤلفات ابن حجة الحموي كخزانة الأدب ، وترى منه طرفاً في حسن المحاضرة للسيوطي ، فإن له ديوان شعر مخطوطاً ، لما يطبع - كما نعتقد - قال جميل المظم إن ديوان شعر ابن حجر اسمه « الدرر » .

وقيل في فهرس دار الكتب إن صاحب كشف الظنون قال « إن لابن حجر ديوان شعر كبيراً انتخب منه قطعة ورتبها على سبعة أبواب وسماها « السبعة السيارة الثيرات » وهي ديوانه الصغير » ثم قيل في الفهرس « لعل هذا الأخير هو الذي بأيدينا » . ويؤيد كلام الفهرس خطبة هذا الديوان التي كتبها ابن حجر في مقدمته فهي ناطقة بأن ما في هذا الديوان جزء من شعره لا شعره كله .

شعر الديوان إذن ، جملة مختارة من الديوان الكبير . وقد جرم فيه ابن حجر بعض شعره المبكر إلى بعض من شعره المتأخر . ومن محاسنه ذكر تاريخ بعض القصائد بالسنة واليوم ، وذكر أسماء ممن وجهت إليهم من ملوك أو إخوان ، ففهم الملك الأشرف إسماعيل صاحب اليمن ، وعبد العزيز صاحب تونس ، والعباس ابن محمد الخليفة العباسي بمصر ، مدحه ابن حجر بقصيدة بارعة لما ولي السلطنة المصرية عام ٨١٥ هـ ، قال في مطلعها :

الملك أصبح ثابت الأساس بالمستمين العادل العباسي
رجعت مكانة آل عم المصطفى لعلها من بعد طول تنامي
وقد قسم ابن حجر ديوانه المذكور إلى سبعة أبواب . فافتتحه بالنبويات ثم الملوكميات - أي المدائح - ثم الإخوانيات ثم الفزليات ثم الأغراض المختلفة ثم الموشحات ثم المقاطيع .

أما نبوياته فلم يأت فيها بمجديد وهي على نمط مما جاء في بردة البوصيري من ذكر ما عرف من سيرة النبي عليه السلام كأولاد والمعجزات والإسراء والمعراج إلى غير ذلك . ومنها قوله عن النبي عليه السلام :

هو رحمة للناس مهداة فيا ويح العائد إنه لا يرحم

إلى الجهد ، وانسد أمامه الطريق إلى الجاه . لذلك عدل ابن حجر عن الأدب إلى غيره ، وطلب الجهد من باب غير بابيه . فحفظ الحديث ودرس الفقه ...

شعر ابن حجر وهو في حداثة سنه بجيلة القطري إلى الأدب ، فعكف على دراسته ومعالجته ، ونظم الشعر حتى بلغ في نظمه مبلغاً محموداً . ثم فتحت فيه زهرات الآمال ، وقوى حب الجهد في نفسه ، ورأى للبارزين من علماء الدين وفقهاء المذاهب في عصره منازل دونها منازل الأدباء والشعراء ، فأشرأت عنقه إلى منزلة من منازلهم ، ورجا أن يكون في آتى أيامه واحداً منهم ، لذلك سلك طريقهم ونهج نهجهم ، وعدل عن الأدب فحفظ الحديث ودرس الفقه ... ورأى أن يستغل فيهما ذكاه ومواهبه . فكان له ما أراد .

ولكن هل أزال هذا النهج الجديد نزع الأدب من نفسه ، كالأبل ظلت كاملة فيها كحون المطر في زهرته ، متربصة تربص اللحن في وتره . فإذا مرت عليها نسمة وانية رقيقة استجابت لها فغطرت الأرجاء بأرجها : أو هزتها يد حانية رقيقة لبنتها فأطربت النفوس بنغمها . وهيئات هيئات أن تصدأ نفس الأديب الوهوب .

وبعد ، فأين نجد أدبه ومظاهرة ؟ نجد ذلك في كتابته وخطبه وفي شعره .

وحقاً إذا أنت قرأت في مؤلفاته رأيت أسلوبه الكتابي عليماً فيه من مصطلحات العلم لفظها وأسلوبها كما أنه يقلب عليه في كتب التاريخ سرد حديثه وقص تراجمه في غير تأنيق . غير أنك تصادفك كثيراً في تضاعيف هذه التراجم وغيرها سطور من الأدب الخالص يعود إليه فيها طبع الأديب فيتأنيق ، ويتخير اللفظ ويحسن في الأسلوب وتبدو عليه سجا عصره من مراعاة البدع ، ولكن في غير إغراق ولا استكراه .

وقد كان ابن حجر خطيباً دينياً يخطب الناس فوق المنابر وغيرها ، وولى خطابة جوامع عدة منها الجامع الأزهر وجامع عمرو . ولعل شعره أوضح مظاهر أدبه . وقد كان يظن أن شعره هذا سيتأثر بالاتجاه العلمي البحت الذي أتجه ، فيسمح ويتخاذل وينوء بالمصطلحات . ولكن الحق أنه بقي له شيء كثير من رونقه وصفائه ، كما بقى لابن حجر نفسه شيء كثير من طرب الأديب وأنسه وإيناسه ومرحه ودعابته . وقل أن صرمت به مناسبة من

نال الأمان المؤمنون به إذا شئت وقوداً بالطغاة جهنم
الله أيده فليس من الهوى في أمره أو نهيبه يتكلم
فليحذر الرء الخائف أمره من فتنة أو من عذاب يؤلم
أما مدائح الأخرى وهي ما سماه «الموكيات» فأجل أبياتها
ما بدا في صدرها من غزل . وكذلك كان دأب ابن حجر في أغلب
قصائده حتى النبويات يبدوها بأبيات غزلية على سنة القدامى .
ولكنها رقيقة لطيفة تم عن عاطفة جميلة وشعور صادق . وبمناسبة
الغزل نذكر أن بعض علماء العصر وفقهائه ممن نظموا الشعر ،
تنزلوا ووصفوا المؤنث والمذكر ، وصرح بعضهم بأن هذا كان
منهم على سبيل تمرين القريحة . وما هو إلا حب التقايد أو حب
الظاهر دفعا لهم إلى شعر الغزل . وما كانت بهم من حاجة إلى الاعتذار
أو التوصل ، فكثير من شعرهم بدا متكاملاً ممجوجاً مستخدماً
المطابقة ضيق الحيلة ففضح نفسه بنفسه . ولكننا نشعر أن غزل
ابن حجر يتم عن عاطفة جميلة وشعور صادق — كما ذكرنا —
ولا نستطيع أن نقدم على هذه الدعوى دليلاً غير ما يفيض به غزله
دون سائر شعره من رقة ولطف وسلاسة . قال في مطلع
مدحة نبوية :

إن كنت تنكر حبا زادني كأننا

حسبي الذي قد جرى من مدمي وكفى

وإن شككت فسائل عاذلي شجني

هل بت أشكو الهوى والبين والأسفا

أحبابنا ويد الأستقام قد عبثت بالجسم هل لي منكم بالوصال شفا

كدرت عيشاً تقضى في بعدادكم وراق مني نسيت فيكم وصفا

ومنها :

وكنت أكرم حبي في الهوى زمنا

حتى تكلم دمع العين فانكشفا

سألت قلبي عن صبري فأخبرني

بأنه حين مرتتم عني انصرفا

وقلت للطرف أين النوم بدمم فقال : نومي وبجر الدمع قد نرفا

وهذه الأبيات أليق بباب الشكوى منها بباب الغزل ، غير

أن الشكوى هنا هي من صميم القرب بل هي لبه وجوهه . وهي

أدل على صدق المطابقة من الوصف العريض . ومع هذا فاسمع

قول ابن حجر من غزلية رقيقة :

طيف لمن هوى المنا بطوى ذبول الليل لما
أهلا به لو أن طر في المنام يذوق طمنا
حسام يا ريق الحبيب أراك مورودا وأظنا
والأم يا قلب الكئيب بأسهم الأخطا ترى
هلا صحت من الغرام فلم أراجع فيه عزما
وصبرت عن لا يطاوع ما تشاءها وغرما . الخ

وبعد فلعل القارىء ممن يلحظ في هذا الشعر ما لحظته فيه
من رقة ولطف . ويضيق المقام دون الحديث كما ينبغي وكما نشتهي
عن شعر ابن حجر . وليس به ما يشوب إلاهات قليلة شاعت
في فرسان عصره كخطأ لغوي أو استعمال عامي .

وإذ أن لنا أن نختم هذه اللوحة ، نذكر أن ابن حجر كان
يتخذ حكماً في المباريات الأدبية ، مما يدل على علو كعبه في ذوق
الأدب وتمييزه . حكراً أن ابن نباتة المصري مدح السكال
ابن الزملكاني القاضي بثانية بارعة صدرها بغزل ما يبع ، ومنه
في مطلعها :

قضى وما قضيت منكم لبايات مقبم عبثت فيه الصبايات
فأرضها كثير من الشراء ، ومنهم برهان الدين القيراطي ،

قال في مطلع قصيدته :

ما لا ابتداء صباياتي نهايات يا غاية ما لعشقي فيه غايات

ثم جاء ابن حجة الحموي من بعدهما فأرضهما بقصيدة أخرى

قال في مطلعها :

لعجبه ولذيل المجر شمرات وللقلوب من الأجنان كسرات

ثم احتكم ابن حجة في الدائيات الثلاث إلى ابن حجر ،

فحك له ابن حجر وفضله عليها وسجل ذلك في مكتابة أدبية

طريفة قال في صدرها : « لا لله الأمر من قبل ومن بعد . الحكم

بين النظراء إنما يحسن ممن يعاتلهم فيما به يرتفع الحكم . وفي

إقدام من لم يرتق إلى تلك الطبقة نوع من الظلم . ولا يرتاب

لييب في أن كلا من الثلاثة رأس هذا الفن في زمانه ، وأنه لا يوازنه

أحد من أقرانه .

وثلاثة كتلائه الراح استوى لك لونها ومذاقها وشميمها . الخ

وبعد فهذه أنارة من أدب ابن حجر نوهنا بها أملا في أن

تثير الرغبة في دراسته بتفصيل وروية .

(حلوان)

محمود رزق سليم

مدرس الأدب بكتابة اللغة العربية

للخليفة والتاريخ :

حول الفتنة الكبرى

للدكتور شوقي ضيف



قرأت بمناسبة مقال الأستاذ الأديب محمود محمد شاكر بمجلة الرسالة في عددها ٧٦١ عن كتاب « الفتنة الكبرى أو عمان » لأستاذنا الدكتور طه حسين . وقد رأيت الأستاذ صاحب المقال يقول في أوائل كلامه : رميت بنفسي وعقلي في هذا الكتاب ... فما كدت أفرغ حتى رأيت الكتاب كله يحتاج بين يدي . وذهب الأستاذ يوضح أسباب ذلك فإذا هو يعود بها إلى خبرين أو روايتين تفاهما مؤلف الفتنة الكبرى .

وأقام الأستاذ شاكر الدنيا وأتمدها لأن المؤلف نقي هاتين الروايتين وما كان ينبغي له . وإن كتاباً يخرج عن عمان وتنتفي فيه هاتان الروايتان فليقل بأن يختلج ، على الأقل ، بين يدي الأستاذ شاكر !

أما الرواية الأولى ، فهي أن مؤلف الفتنة الكبرى ينتفي ما يروى من عمل لابن سبأ في فتنة عمان . وأما الرواية الثانية ، فهي أن المؤلف ينتفي ما يروى من كتاب المصريين التأخرين الذي خرجوا به عن عمان إلى واليه على مصر ، فلما فضوه في بعض الطريق وجدوه يأمره أن يقتلهم ، فرجموا إلى عمان وحاصروه حتى كان مقتله .

وإنكار الرواية الأولى هو الذي أثار ثائرة الأستاذ شاكر ؛ فقد رأى مؤلف الفتنة الكبرى أن هذه الرواية لم تأت في الكتب التاريخية القديمة كلها ، وأن المؤرخين التأخرين توسعوا فيها ، فشك فيما سارت إليه ، بل شك أيضاً في أصلها ، لأن ابن سبأ أسلم في عصر عمان ومثله — وهو ليس من السابقين الأولين ولا من قريش ولا من الأنصار — لا يؤثر تأثيراً عميقاً في هذه الفتنة الكبرى التي انتهت بتل الخليفة . وقد كان الإسلام ، لا يزال في دوره الأول ، وما كان المسلمون الأولون ليتوروا على خليفة وراء يهودى أسلم حديثاً . وإن رصفهم بذلك ليحط من شأنهم ؛ إذ يكونون أطفالاً أغرأراً يتبعون هذا الناعق الذي يكيد للإسلام . والحق أن المسلمين ناروا على عمان لأسباب داخلية

بفصلها مؤلف الفتنة الكبرى .

ومن المسلم به أن من حق المؤرخ أن ينتفي ببعض الروايات وأن يثبت الأخرى ؛ معتمداً في ذلك على القرائن والأدلة المختلفة وقد رأى صاحب كتاب الفتنة الكبرى قصة ابن سبأ هذه أو ابن السرداء تروى في بعض الكتب التاريخية الموثقة ولا تروى في أخرى ، بل رأى أن الكتب التي كانت أكثر اهتماماً من غيرها بفتنة عمان لا تروى هذه القصة من مثل طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذري فإزداد شكه في القصة وإزداد إتمامه وخاصة أنه رآها تكبر وتتضخم مع مر الزمن فقال : « إن هذه القصة أكبر الرواة المتأخرين من شأنها وأسرفوا فيها حتى جعلها كثير من القدماء والمحدثين مصدراً لما كان من الاختلاف على عمان » .

وعاق على ذلك الأستاذ شاكر بأن الطبري كان أحد رواة هذه القصة ، وقد ذكر مؤلف الفتنة الكبرى نفسه ذلك . وإذن فكلمة الرواة المتأخرين السابقة فيها إبهام شديد معتمد فيما يظهر . فإن الطبري ليس من الرواة المتأخرين ، وقد روى القصة عن سيف بن عمر بشهادة المؤلف نفسه . وأظن أنه كان ينبغي للأستاذ شاكر أن يلاحظ أن المؤلف لا ينتفي عن بعض الرواة السابقين ذكر القصة ، بل هو يثبت ذلك ويثبت بجانبه أن الرواة المتأخرين بالغوا في القصة أو على حد تعبيره أكبروا من شأنها وأسرفوا فيها .

وهذا كلام مستقيم ، فقد أخذت القصة تطول وتوسع في البيئات الشيعية وعند خصومهم كلما تقدم الزمن حتى أصبحت أشبه ما يكون بالأسطورة . وكان هذا سبباً في أن يهتم مؤلف الفتنة الكبرى القصة في بعض الوجوه . وأيضاً فقد لاحظ أن المصادر المهمة التي قصت أمر الخلفاء على عمان لم تذكرها من مثل طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذري .

وليس معنى ذلك أن المؤلف يقصد بذلك إلى التقليل من شأن الطبري كمصدر مهم في التاريخ الإسلامي وإنما معناه أنه يقارن ويقابل فيجد ابن سعد لا يذكر القصة كما يجد البلاذري ، وهو أهم المصادر — في رأيه — لهذه القصة وأكثرها تفصيلاً ، لا يرويها ، وإنما يرويها الطبري وحده بين المصادر القديمة ، وهو يرويها عن سيف بن عمر .

وهذه المقارنة بين الطبري وغيره في هذه القصة جعلت مؤلف

كان فارغاً للعلم لا يفتنه منه شيء . « وأنا لا أنق أن الطبري كان فارغاً للعلم ، ولكن أنق أن تاريخه حق خالص لأنه قد روى عن الكلبي وابنه هشام والواقدي وغيرهم كما يقول ياقوت :

« وإذا أضفنا إلى ذلك ما تقوله دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة تاريخ ص ٤٩٣ من المجلد الرابع في الترجمة العربية من أن « مواطن الضعف عند الطبري في تاريخه هي ما يتوقع من محدث مثله — مثال ذلك إثاره لمصنف سيف المنحول على التاريخ . » ثم عرفنا أن سيفاً هذا هو سيف بن عمر الذي روى عنه الطبري قصة عبد الله بن سبأ ؛ أفلا يكون هذا كله سبباً في أن يتهم مؤرخ حديث قصة ابن سبأ ؟

وإن من يرجع إلى ابن عسكرا يلاحظ أنه يروي كل ما يتصل بفتنة عثمان عن طرق مختلفة أكثرها طرق محدثين إلا قصة ابن سبأ فإنه يرويها مثل الطبري عن سيف بن عمر .

على أن ابن سبأ كان له ضربان من النشاط ، نشاط مزعوم في عصر عثمان ، ونشاط حقيقي في عصر علي . ومع ذلك فالنشاط الأخير قد بولغ فيه على ما هو معروف في قصته من الحرق والنفي الخ .

وهذا ما جعل مؤلف الفتنة الكبرى يؤخر الحديث المفصل عنه إلى الجزء الثاني من كتابه حتى يلم بهذه الشخصية من جميع أقطارها إلاماً دقيقاً . ألم يقل في ص ٢٣٢ : « لم تفصل في هذا الجزء حديث عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، لأنه طويل مسقد ، ولأن نشاطه الخطير إنما يظهر في رأينا أثناء خلافة علي فقد أرجأنا حديثه إذن إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب . »

وقبل ذلك يقول في ص ١٣٤ : « وأكبر الظن أن عبد الله ابن سبأ هذا — إن كان كل ما يروي عنه صحيحاً — إنما قال ما قال ودعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف فهو قد استغل الفتنة ولم يثرها ، وأكبر الظن كذلك أن خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا في أمر عبد الله بن سبأ هذا ليشتكوا في بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولائه من ناحية وليشتموا على علي وشيخته من ناحية أخرى ، فبردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودي أسلم كيداً للسليين . وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة . »

ليست قصة ابن سبأ إذن قصة سهلة يسيرة يمكن أن تقبل لجرد أن يرويها الطبري عن سيف بن عمر ، بل هي أعمق من ذلك

الفتنة الكبرى بينهما ، فقد أثار ذلك الشك في نفسه ، وأظن من حق كل مؤرخ أن يشك ويتهم ببعض الروايات القديمة وخاصة إذا لم تتأزر الكتب التاريخية المختلفة في روايتها .

وقد ذهب الأستاذ شاكر ببرهن على صحة القصة بأن طبقات ابن سعد طبعت من نسخ ناقصة وربما كانت القصة موجودة في الأصل وسقطت . واتسع بهذا البرهان في أنساب الأشراف للبلاذري فقال إن ناشره يهودي من طغاة الصهيونية وربما حذف الرواية الخاسرة بابن سبأ . ولست أدري ماذا يضير اليهودي الناشر من رواية هذا الخبر ! وقد رجع الأستاذ شاكر يقول ربما ذكر البلاذري هذا الخبر في ترجمة مفقودة .

وواضح أن هذين البرهانيين أو قل هذا البرهان لا يثبت قصة ابن سبأ ، فإن ما جاء به الأستاذ شاكر إنما هو فرض ولا يقين في يده .

وقد أخذ بمد ذلك يناقش المؤلف في الخبر أو في القصة على أساس أن من لم يرو خبراً ما ليس حجة على من روى هذا الخبر وخاصة إذا كان الراوي مثل الطبري علماً وفهماً وهو الذي روى عنه أنه قال لأصحابه « أنتشعلون لتفسير القرآن ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ قال ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا هذا مما تنفي فيه الأعمار قبل تمامه ، فاختموه لهم في ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال لهم : هل تشعلون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال إنما لله أمات المهم . »

وأحسب الأستاذ شاكر أن نقل هذا الخبر عن كتاب معجم الأدباء لياقوت ، ولو أنه استمر بعد هذا النص الذي نقله عن معجم الأدباء يقرأ في ترجمة الطبري لرأى ياقوت يقول عنه : « إنه لم يدخل في كتابه (التفسير) شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبي ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدي ، لأنهم عنده أظناه . » ثم يقول ياقوت عقب ذلك مباشرة : « وكان إذا رجع إلى التاريخ والسير وأخبار العرب حكى عن محمد بن السائب الكلبي وعن ابنه هشام وعن محمد بن عمر الواقدي وغيرهم فيما يفتقر إليه . »

وإذن فالطبري لم يكن يحقق في روايته التاريخ كما كان يحقق في روايات التفسير ، ومع ذلك يقول الأستاذ شاكر : « من قرأ كتاب الطبري في تاريخه ... علم أن هذا حق ، وأن الرجل

للمجتمع في أي أمر من أمورهم أدنى تدخل ، ولو كان ذلك بإرادتهم أنفسهم .

وإنما تأتي ضرورة هذه الحرية الشخصية في الفكر والعمل جميعاً ، من أنها لا بد لازمة لنمو الملكات ، وظهور الواهب ، ولا يتأتى ذلك للأفراد إلا بأن يلزموا أولاً بتجارب السلف وخبراتهم ، وأن يستفيدوا بها بآدي ، الأمر ، حتى يتهيأ لهم تأويلها وتحويلها بما يوافق ظروفهم ومواقفهم ، وحتى لا يصدر عن أفرادهم وآرائهم عن تقليد وجود وانساق ، بل باختيار ومفاضلة ومران عقلي وشجاعة أدبية ، تتحقق معها نفوسهم بما هي نفوس إنسانية ، وتنتظر ملكات هذه النفوس من ملاحظة وتأمل ، وحكم وتدبر ، وعزم وإرادة . فلم نوهب هذه الملكات لنمطها ونقضى عليها بحجة التسليم المشيئة — وفي هذا ما يكفي للرد على أنصار الذهب الكاثافي — وإن يكون إنكار الذات بالنسبة للشخص أكثر شرفاً وفائدة من تقرير الذات بالنسبة للمجتمع ، فإن في ارتقاء شخصية الفرد علواً بنفسه ومجموعه وخصباً لحياتهم خصوصاً وأن آفة مجتمعاتنا الحديث لم تعد طغيان شخصية الأفراد ويطشها وجاحها بقدر ما في خضوعها للمجتمع واستكانتها لرغباته ، وانقيادها لإرادته في العادات وأخص الخصائص كالذوق والحب والكراهة ، مما يترتب عليه تساؤل شخصية الفرد بجانب شخصية المجموع ، حتى لقد وجب على المجتمع أن يتدخل لتربية الذوق وتهذيب الحس وإذكاء الضمير في كل فرد . رعاية لمصالح المجموع ، حتى يوجه عواطف الأفراد وميولهم هذه الوجهة . وفي هذا كذلك على الذين يقولون بضرورة حد المواظف والنزعات مع حرية العقل والفكر .

حرية التصرف إذن حق ثابت لجميع أفراد المجتمع خاصهم وعامهم ، لا الحرية المطلقة الكاملة التي لا تعرف حدوداً ، بل بالقدر الذي لا يتعارض مع حرية الغير ، أو يترتب عليه اعتداء القوي على الضعيف ، ولا ضير على الحرية الشخصية من هذا القيد مادامت تعوض عن تقييد الشطر الأناي منها بإتمام الشطر الاجتماعي والخاصي : أما إن حرية التصرف لازمة للخاصة أو المباشرة — على قلتهم — فذلك لأن المجتمع في حاجة أبداً إلى من يفتح عينيه على أخطائه ، ويبين له عاداته وتشريعه وتقائمه في تطور تاريخه ويبتكر له ما يرفق حياة أهله في الفكر والعمل ، وينفث فيه روح الحياة والتقدم ، ولا يتأتى ذلك إلا بتنشئة الأفراد جميعاً

مسايرة الفلاسفة لطلب السنة التومرية : (٣ ، ٤ ، ٥)

الحرية

للأستاذ كمال دسوقي

٥ — حرية التصرف :

وعلى أساس هذه الحرية العقلية في التفكير التي قررها « مل » بوضوح وجلاء حتى الآن ، تترتب الحرية العملية في التصرف ، فلإنسان مطلق الحرية في إبراز آرائه من حيز الفكر إلى حيز العمل ، ومن نطاق العزم إلى نطاق التنفيذ ، ما دام أن عواقب هذه الأمور قاصرة على صاحبها ، وما دام تنفيذها ليس من شأنه أن يضر بالغير ، فحرية الفعل والعمل هي الشق التام لحرية الفكر والقول . على أن استخفاف الناس بهذه الحرية الشخصية في ناحيتها ، وقلة إيمانهم بها ، وعدم حرصهم عليها ومراعاتهم لها ، وإغفالها كذلك في برامج الفلاسفة والصلحين ، هو العقبة دون تحقيقها ، ولو قد حرص أولئك وهؤلاء فيما يرى « مل » — على امتلاك هذه الحرية والإبقاء عليها وحسن استخدامها ؛ لما كان

وأبعد . وأكبر الظن أن من حق المؤرخ إزاءها أن يقابل بين الروايات بعضها وبمض والأبكتفي بوجودها في الطبرى عن سيف بن عمر .

أما الروايات الثانية أو القصة الثانية التي وقف عندها الأستاذ شاكر فقصة كتاب المصريين وما كان من فقههم له في الطرق وإطلاعهم عليه ثم عودتهم إلى الدينة ومحاصرهم لثمان ، فإن الأستاذ شاكر لا يأتي بدليل عليها سوى أنها جاءت عند البلاذري كأن الأصل أن يحى . الخبر أو القصة ثم صدق بها من غير بحث ولا درس ولا امتحان ولا فحص . وحي قصة في البلاذري لا يحتم صدقها ومن حق كل مؤرخ أن يختبرها ويمتحنها ويتبينها إن كان هناك ما يدعو إلى تهمة .

وبعد فهذه آراء رأيت أن أعلق بها على مقال الأستاذ محمود محمد شاكر للحقيقة والتاريخ .

سُوقِي ضيف

للضرب على يده حماية لإخوانه ، وأما إن كان تصرفه ناشئاً عن عيوب ذاتية أو اجتماعية فيه ، يترتب عليها الإخلال بالترامان الاجتماعي نحو أسرته أو دائيته أو واجباته بوجه عام ، فلمجتمع أن يوقع عليه المسؤولية الأدبية أو القانونية حسبما يراه لا بسبب هذه العيوب الذاتية أو الاجتماعية فحسب الفرد بلاء ووجودها فيه — ولكن لما ترتب عليها من إخلال — إذ الأمر هنا يخرج عن نطاق الحرية إلى الآداب والمعاملة ، وأما ما عدا هذا من الأضرار المرضية التي لا ضرر فيها — فعلى المجتمع أن يتحملها عن طيب خاطر ، فإن كفة الخير الذي يصيبه من إطلاق الحرية أرجح من كفة هذا الضرر مهما بلغت ، خصوصاً وأن المجتمع يجب أن يعد نفسه المشمول الأول عن عدم توجيه الأفراد وجهة قومية — مع ما كان له من ساطعة . وأن التعرض للحرية كثيراً ما يؤدي إلى عكس المراد منه ، ما دام الجمهور — أ كثرية الأفراد — يحكم في ذلك على الأقلية المخالفة المستنيرة — بحكم هواه وصالحه — لا بمنطق سليم يرى في الشيء ضرورة ذاتية تسوغ الأخذ به ، ولا ضرر من القدوة السيئة ، فإنها — وإن كانت تمرض نماذج سيئة من السلوك ، فهي تعرض كذلك طائفة أصحابها الوخيمة . وعلى الأفراد — على أي حال — أن يتعاونوا ويتناصحوا ويتواصوا فيما بينهم في أدب ومعاملة بما يحقق خیرهم .

ولتأييد ما يقول « مل » من أن قوانين المجتمع ليست في حقيقتها إلا هوى الجمهور . وما يرى معه من خطر مبدأ التعرض لو أخذنا به ؛ يضرب أمثلة كثيرة من التاريخ الواقع ، منها عبادة الله على غير المذهب الروماني الكاثوليكي في نظر الإيبان ، وموقف أهل أوروبا الجنوبية من زواج التمس ، ومصادرة البيوريتانيين أيام نفوذهم في نيو إنجلاند لكل أنواع الملاهي والتسلية ، والنزعة الديمقراطية التي ترمي إلى أن تجعل للجمهور أن يتدخل في تحديد طريقة إنفاق دخل الأفراد ، ومطالبة المال غير المهرة بالأزيد أفليتهم الماهرة عن بقيتهم في الأجر ، واختلافهم حول ضرورة التشريع الخاص بالمطلة الأسبوعية وتبرير الجمهور فعله هذا بالدين ، وأن من حقه حمل الحارجين على إطاعة الدين ، مما ترتب عليه أبشع صنوف الاضطهاد الديني ، كما حدث في مذهب « مورمن » الذي وإن كان قد دعا إلى شيء رجمي مستنكر عندهم هو تمدد الزوجات ؛ فلم يكن ينبغي أن يقابل بمثل هذه الوحشية فليس لجماعة أن تحمل غيرها على الرق والحضارة عنفوا ؛ بقدر

في جو صالح يمين على إظهار مواهبهم ، والاستفادة بهم ، فهذه الأقلية المتأثرة هي القادة ، وإلى هذه الديمقراطية الفكرية يجب أن يوكل زمام الحكم ، فإن حكومة الطبقة المتوسطة هي كذلك متوسطة ، وكل شذوذ في المجتمع دليل على وعيه وعبقرية أفرادها وابتكارهم . فهم سيقدون وطنهم وإن لم يحكموا ، وأما ضرورة الحرية الشخصية للمواطنين من الناس فخرجتها أن تنوع الأفراد في المجتمع ، وتنوع ظروف الفرد الواحد منهم ، يستتبع منتهى الحرية في تنوع أساليب الحياة والتصرف التي يأخذها الفرد في كل ظرف يواجهه ، حتى يتكيف في بيئته ، ويوائم بين نفسه ومجتمعه ، على نحو يجعله غير عاجز عن النهوض بنفسه .

و « مل » يشير في غير موضع من هذا الفصل إلى الدور الخطير الذي يقوم به المجتمع في محاربة المباقرة وتمييد حكومة الطبقة المتوسطة ، وإلى تعصب الرأي العام فيه على أي مظهر من مظاهر التفوق والامتياز ، وإلى تحكيم العادة واعتراضها سبيل كل تجديد وإصلاح ، وإلى أن الخلاف وتنوع المذاهب وعدم المائلة — أي في كلمة فون هوبوت — الحرية وتنوع المواقف هي ضمان عدم ازلاق الدول القريبة في مصير الصين ، ويرى ضرورة الإصلاح آتئذ قبل أن يتم وقوع هذا الخطر .

٦ — مدى سلطان المجتمع على الفرد :

تمت أذن حقوق فردية تهم الفرد بنوع خاص ، وهو أبصر الناس بها لأنه أعلمهم بآثارها ووسائلها — وتمت — في مقابل ذلك حقوق مشتركة تهم المجتمع بوجه خاص ، وله أن يدافع عنها ضد من يمسها أو يمتدئ عليها ، بوسائله الخاصة وحقوق كل من الطرفين تمد واجباً على الآخر . فحق المجتمع على الفرد — مادام يتمتع بالأمن في كنف رعايته — أن يسلك سبيلاً يمسد به عن الإضرار بمصالح الغير وحقوقه ، وأن يتحمل نصيبه من التبعات التي يفرضها عليه مجرد كونه عضواً في المجتمع . وحق الفرد على المجتمع أن ينظم له القواعد التي تبصره بما عليه من واجبات في معاملته للغير وما له عليه من حقوق ، وأن يدعه في شئون الخصاصه يتصرف تصرفاً خالياً من كل قيد ، وأن يكيف جريمة الفرد قبل إزال العقوبة ، فإن كان قد انتهك القواعد التي سنت لحماية المجموع ، فترتب على ذلك إضرار بشيره ؛ تدخل المجتمع

إلا الرافبة والمؤنة على هدم الإضرار بالغير . أما بإزاء التحريض على إتيان أعمال شخصية يعتبر الجهر بها إخلالاً بالأداب كبيع المحور وفتح بؤر القهار ، في أما كن عامة . ابتغاء المنفعة الشخصية فيجوز تدخل الحكومة لحل هؤلاء على التحجب والمغفاه ، وحصر هذه في أقل نطاق ممكن ، بفرض ضرائب باهظة على المسكرات تقلل من طلبها وتحرمها على غير القادرين ، وتحديد عدد الحانات ومراقبة سلوك أصحابها وموعد عملهم والترخيص لهم ، وإزاء العقود والاتفاقات التي يبرمها الأفراد لمصلحتهم فيما بينهم القيام على الوفاء بها في النواحي المالية خصوصاً ، وفسخها وعدم الاعتراف بها إذا كانت تحمل بيع حرية الفرد — مع مراعاة التزاماته وواجباته قبل هذا الفسخ — كما في عقود الزواج والطلاق — وفيها عدا هذا فليس ما يمنع عن الفرد خيار التقايل والنكول .

وفي مقابل هذه الأمور التي يجوز للحكومة أن تمنعها . هناك أمور يجب عليها أن تمنعها . ومنها تدوية المرأة بالرجل وحمايتها من استبداده وما يزعم لنفسه من سلطان ، وأن تهيب لكل وليد من رعاياها حق التربية وقسطاً من التعليم ؛ متحملة هي نفقات الفقراء ، وإعانة الآباء ؛ تاركة للمختصين بالتعليم أن يقوموا عليه حافزة إياهم على منافسة مدارسها الأميرية والقضاء عليها ، وأن يحمل امتحاناتها بعد المرحلة الأولى اختيارية في حقائق العلم الثانية ، خصوصاً في العلوم العليا كالفلسفة والمقائد (اللاهوت) ، وأن تمنح من يؤدي هذا الامتحان بنجاح شهادة زاول بها مهنته دون أن يعترضه أحد . وبالجملة تهيبه الفرص التي قد يفوت الآباء إدراكها حين يسترسلون في معارضة الهدم من النسل مع مجزوم عن إسماعه .

و « مل » يناقش أخيراً مدى حق الحكومة في تولى شئون الأفراد ، فيرى أنه لا وجه لتدخل الحكومة للعمل لهم — حين يكون لطائفة منهم القدرة على إتقانه أكثر — أو لا يكون ذلك . ولكن من الخير أن يروض الأفراد أنفسهم على القيام به . أو حين يكون في اتساع اختصاص الحكومة ذهاب بالإتقان والتخصص ، وهو هنا يميل إلى اللامركزية ، وإلى توزيع سلطات الحكومة على المختصين والمهرة ، على أن يظفروا خارج الحكم ، فإب حشدتهم للخدمة الأميرية بحيث ملكاتهم ، ويجعلهم أكثر استبداداً ، والشعب أكثر مجزوماً

ما تستطيم التبشير ومحاربة المقائد الفاسدة في عقر دارها بوسائل التنوير والإقناع ، ولكنه المجتمع يشرع دائماً وفق هواه ، ثم يستبد بحجة الرأي العام .

تطبيقات :

وإذ تقررت لدى « مل » حرية الفرد في الفكر والمقل ، في الرأي والتصرف ، ونبت ضرورتها لمصالح حال الميشة وشخصية الأفراد ، شرع يطبق هذه المبادئ على كثير من مشكلات عصره وبلاده — مبيناً في كل منها متى يحل للحكومة أن تتدخل في حرية الأفراد — منجازاً — كما دته دائماً — إلى جانب الحرية الشخصية وإطلاقة في أوسم مدى ممكن ، متخذاً لهذا التطبيق مقياساً لتحديد به مسئولية الفرد أمام المجتمع يتحصر في قاعدتين :

١ — لا يسأل الفرد أمام المجتمع عن شيء من تصرفاته ما دامت لا تمس غير شخصه ، وهنا فلا سبيل للمجتمع إلا أن يظهر بغضه وكراهته ، وأن يقدم نصحه وإرشاده ، وأن يقضى على ما لا يرضى عنه بمجرد مقاطعته ونبذ .

٢ — أما إذا أتى الفرد تصرفات تعترض مصالح الغير . فله مجتمع في هذه الحالة أن يوقع الجزاء القانوني أو الأدبي الذي يراه كافياً للزجر ودره الاعتداء .

ولا يعد إضراراً بمصالح الغير التنافس والمسابقة ، لما يترتب عليهما من إخفاق البمض نتيجة لنجاح البمض الآخر — طالما أن وسائل هذه المنافسة شريفة — لا يدخل فيها غش أو خيانة أو إكراه ، وما دامت الظروف مهيأة للجميع على قدم المساواة — ومساواة حرية التجارة — وإن تكن بعيدة عن الحرية الشخصية — يتعاقب عليها هذا القول فيجب إطلاق منتهى الحرية للتجار في الدعاية والمرض والإعلان وتجويد الأسناف وتحديد الأسعار ، حتى لا يتحكم فيهم إلا حرية الشترين وتفضيل صالحهم فيسير المرض والطلب على قاعدة الحرية للمنتج والمستهلك ، حقاً إن من واجبات الحكومة اتخاذ الاحتياطات لمنع الجرائم قبل وقوعها والأهية لا كتشلها بعد وقوعها ، وعلى هذا فليس لها بإزاء منع استخدام المواد السامة في الجرائم إلا أن تحتاط « بالأدلة السلفية » أي إجراءات التوقيع والشهود وما يساعدها على كشف الجريمة إن وجدت ، وإزاء التصرف الشخصي السوء كالسكر والبطالة

الفكر القومي في الأندلس

نشوء القومية عند الأتراك :

كانت المحاضرات الثلاث السابقة التي ألقاها الأستاذ سامح المصري بالجلمية الجغرافية المسكية في نشوء فكرة القومية في أوروبا ، وقد انتقل إلى الشرق في المحاضرة الرابعة التي ألقاها يوم السبت ، فتحدث عن « نشوء فكرة القومية عند الأتراك - التيارات اللغوية والتاريخية التي رافقتها وساعدتها » فقال إن الدولة العثمانية كانت في أول أمرها تتجه إلى الفكرة الإسلامية العامة وخاصة بعد أن تم لها فتح مصر وانتقلت إليها الخلافة الإسلامية ، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت الأفكار الوطنية قد امتدت إليها من أوروبا ولكنها أخذت صبغة إسلامية ، فكان الأدباء والشعراء يتحدثون عن الوطنية والقومية متجهين نحو التاريخ الإسلامي والمواطف الدينية ، وتجاوزت الأفكار بعد ذلك حتى أخذت فكرة القومية وضمتها الأخير .

وبيان ذلك أن هذا التطور قام على نواح ثلاث : اللغة والتاريخ والسياسة ؛ أما من حيث اللغة فقد كان هناك لغتان : لغة الأدب الراق ، ولغة الأدب الشعبي ، وكانت الأولى خليطاً من التركية والعربية والفارسية في الألفاظ والتراكيب والقواعد وأوزان الشعر ، وكانت لغة شعراء القصور الذين هم عماد الحياة الأدبية الراقية ، أما لغة الشعب فكانت تركية بحتة ولها أوزان عامية ليس فيها

وخضوعاً ، وانسياقاً إلى خدمتهم ؛ فيموت العمل الحر . بل الواجب أن نجعل كل طائفة بحيث تصلح حكومة بذاتها . وأن تعود الأمة الاعتماد على النفس ، ونخلق منها عناصر جديدة أبداً ولا نحتكر المواهب في طبقة منها ؛ بل نعمل دائماً على تنشيطهم وحفز عزائمهم وإنماء كفاءتهم ؛ فإنما قيمة الدولة بأفرادها وبعد : رأيت كاتباً ينتصر للحزبية ويدافع عنها بمثل هذه البراعة والقدرة ، والتحمس والإنتاج ؟ ...

كمال رسوفي

شيء من العربية . وحدث في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن ظهرت دعوات إلى التجديد في اللغة والأدب ، ونشأت مذاهب في ذلك ، بعضها - وهو الممتد - يدهو إلى بقاء الألفاظ العربية والفارسية التي سارت على الألسنة مع التزام القواعد التركية ونبذ القواعد العربية والفارسية كإضافة والنسب وغيرهما ، ودعا بعض المذاهب إلى التخلص من كل ما هو أجنبي في اللغة والأدب ، ونظم الشعراء المجددون على الأوزان العامة . وقد اشتجرت الأقلام في هذا الميدان ، حتى انتهى الأمر أخيراً إلى تغلب اللغة التركية ، فهجرت الأوزان والقواعد العربية والفارسية ، واصطبقت الأخيصة بالألوان الأوربية والآداب الشعبية ؛ أما الألفاظ فقد بقي كثير منها محتق تغيرت حروف الكتابة ، فتغير نطق الكلمات العربية وهيأتها تبعاً لتغير الحروف .

وأما التاريخ فقد كانت الدولة العثمانية تسير فيه على المنابة بالتاريخ الإسلامي وعدم الالتفات إلى التاريخ التركي قبل الإسلام ولكن لما أجهت الانظار نحو القومية التركية تغير الاتجاه في الدراسة التاريخية ، فأخذ تاريخ الترك قبل الإسلام مكانه مع التاريخ الإسلامي ، وتغير نظر الأتراك إلى بعض الشخصيات التركية التي كانت تذكر في التاريخ باللحن والسخط .

وبذلك سارت اللغة والتاريخ فكرة القومية في تركيا ، فأثرا فيها ، وأثرت فيهما . وقد أدى كل ذلك إلى نشوء الشعور الوطني وحدث التطور السياسي الذي جاء بعد التجديد في اللغة والتاريخ . وبدأ العمل السياسي في أوائل القرن العشرين خارج تركيا . وذلك أن الدعاة إلى الأفكار السياسية هاجروا إلى بعض البلاد كصربيا وسويسرا ، ونشروا فيها أفكارهم بواسطة الصحف وإرسال المنشورات السرية إلى البلاد التركية ، وكانت الآراء السياسية مختلفة ، فجماعة يدعون إلى الوحدة الإسلامية ، وآخرون يدعون إلى العثمانية ، وفريق ثالث يمتنق الفكرة التركية البحتة .

ولما أعلن الدستور في تركيا ظهرت الدعوات في داخل البلاد ، وأخذ كل فريق يؤيد رأيه ، وتماقت الحوادث ، ففصلت بين هذه الآراء بحكمها .

وختم الأستاذ المحاضرة بأن كل ذلك يدل على أثر اللغة والتاريخ في الفكرة القومية عند الأتراك ، وأن هذا يؤيد ما ذهب

الأستاذ حن أحمد با كثير ، من غير مسابقة ، فاستحسن ونجح قسم الموسيقى بالجامعة الشمسية في تلحينه وأدائه . فهل يصنع مثل هذا غيره من المبدعين التخرجين من السابق ؟

قواعد جديدة للإملاء :

وضعت لجنة الإملاء بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، مشروعاً يتضمن قواعد جديدة للإملاء ، وقد مهده ببيان الحافز على هذا العمل وهو تسهيل الكتابة على المبتدئين ومتملى العربية من غير أهلها والقضاء على اختلاف الكتابة بين الأفراد وبين الأمم العربية الناشئة عن اختلاف العلماء في قواعد رسم الحروف ، وذكرت أن أساس مشروعها أن تطابق الكتابة الباطن .

والقواعد التي تضمنها هذا المشروع هي كما يلي :

١ - كل ما ينطق به يرسم في الإملاء ، إلا كلمة « الله » .
٢ - كل ما لا ينطق به لا يرسم ، إلا همزة الوصل ، وإلا لام (أل) الشمسية .

٣ - همزة في أول الكلمة ترسم على ألف مطلقاً ، المضمومة والمتنوحة فوقها والمكسورة تحتها .

٤ - همزة المتحركة متوسطة ومتطرفة تسكت على حرف مناسب لحركتها ، ويستثنى من ذلك همزة إذا كانت متطرفة وقبلها ألف فتكتب مفردة .

٥ - همزة الساكنة متوسطة ومتطرفة ترسم على حرف مناسب لحركة ما قبلها .

٦ - الألف اللينة يرى بعض أعضاء اللجنة أن ترسم ألفاً مطلقاً ، ويستثنى بعضهم على وإل وحتى ولى ومتى وأنى .

٧ - كل كلمتين اجتمعتا تكتب كل منهما منفصلة عن الأخرى ، إلا إذا كانت الكلمة الأولى (أل) أو كانت كلتا الكلمتين أو إحداهما على حرف واحد ، وإذا حصل بين الكلمتين إدغام كتبتا كلمة واحدة على حسب النطق .

٨ - يرسم التنوين ألفاً في حالة النصب ، إلا المختوم بالهاء الربوطة .

وقد نظر مؤتمر المجتمع في هذا المشروع ، فرأى أن يستمر مجلس الجمع في بحثه ومقارنته بالأنواع الإملائية التي أوصى بها المؤتمر الثماني العربي الأول ، ثم تعرض النتيجة على مؤتمر الجمع في السنة الآتية .

إليه في المحاضرات السابقة من أن القومية كائن حي روحه اللغة ووعيه التاريخ ، وقال إنه سيبين ذلك أيضاً في نشوء الفكرة القومية في البلاد العربية ، بالمحضرين الآتيتين .

نشيد الجامعة العربية :

في أوائل العام الماضي أعلنت الجامعة العربية عن مباراة لوضع نشيد للجامعة العربية . ولما دنا الموعد المحدد لقبول الأنشيد نظرت فيما تجمع لديها ، فلم تجد فيه ما يصلح ، فأسحت الوقت ومدت الأجل ، ثم ألفت لجنة للفحص . وانتهى الأجل المدد وغضت اللجنة الأنشيد المقدمة ، فلم تجد بينها ما يصلح اتخاذ نشيداً للجامعة . ومما يذكر أنه لم يتقدم إليها أحد من الشعراء المعروفين ، ورات اللجنة أن يجيز أحسن ما قدم ، فاختارت نشيدين عهدت بأحدهما إلى المهدى المالى للتمثيل والموسيقى ، وبالتالي إلى الجامعة الشمسية ، على نحو ما ذكرت قبل الآن . وقام المهدان بالتلحين والإلقاء ، وحضرت اللجنة الثقافية بالجامعة العربية التجربة في كل من المهدين ؛ واستقر الرأي بعد كل ذلك على عدم صلاحية أى النشيدين ليكون نشيداً للجامعة العربية . ورنى مع ذلك أن يظل الباب مفتوحاً للراغبين في نظم الأنشيد ليتسنى اختيار أحدها واعتباره نشيداً رسمياً للجامعة العربية .

قلت في مناسبة سابقة إن طريقة السابقات للحصول على إنتاج أدبي لغرض ما - طريقة أصبحت غير مجدية ، لأن المترين بأنفسهم من ذوى الكفايات بأنفوسهم من دخولها بغض النظر عما يبديه السخاطون من عدم الثقة بالمحكمين ، وأثرت وقت ذاك بأن يطلب ما يراد ممن تعرف مقدرتهم فيه . وكان « البسام » الذى يحلو له أن يماكسى في الاسم غير مكثف بما كسبى في بعض ما أرى - قد كتب إلى يقول : « قد يكون الذى يطلب منه أن يضع نشيداً شاعراً عبقرياً ولكنه لا يحسن الأنشيد أولاً يعجز بطبعه إلى نظمها فكيف يطلب منه ما لا يحسنه أو لا يوافق طبعه ؟ » وليس عندى دفع لهذا الاعتراض وإن كنت أحفظ برأى للتجريب على الأقل ، فهل تأخذ به الجامعة العربية فتعهد إلى من تأنس فيهم القدرة بوضع أنشيد كما صنعت مع من يضع لها معجم البلدان العربية ؟ أو تأخذ برأى « البسام » فسكت حتى يفتح الله على من يضع لها النشيد المطلوب ؟ وإن أسبق « البسام » فأقول قبل أن يكتب إلى : هذا نشيد الجهاد لفلسطين ، تقدم به

ذلك فستوافق المالية .

ومن أهم ما ذكره المحاضر أيضاً : مسألة « الاعتمادات » المخصصة لتشجيع التمثيل ، قال : إن الجهود الفردية في المسرح لا تستطيع أن تستمر وحدها من حيث المال . لأن المسرح ليس له جمهور يكفيه من هذه الناحية فلا بد من إعانة الحكومة وهناك عدة نواح تتطلب هذه الإعانة لتشجيع التأليف وتكبير الفرقة المصرية بضم الكفايات البعيدة عنها إليها ، وإعانة فرق أخرى تنافس الفرقة المصرية منافسة يستفيد منها الفن . ولكن المبلغ المخصص لذلك هو ثلاثة عشر ألف جنيه ، لا يكفي ، وقد فكرنا في تحويل بعض الإعانة التي تبذلها الحكومة للفرق الأجنبية ومقدارها أربعة عشر ألف جنيه إلى التمثيل المحلى ، وذلك بالاكتفاء ببعض هذه الفرق ، مع ما في ذلك من إفراح المجال للفرق المصرية على مسرح الأوبرا . .

وقد عقب الأستاذ يوسف وهبي بك ، بأن المحاضر لم يتناول في محاضراته مسألة إيجاد المسارح اللازمة للعمل ، والواقع أن القاهرة ليس فيها مسرح يصلح للتمثيل غير مسرح الأوبرا الذي تحتله الفرق الأجنبية جزءاً كبيراً من العام . أما مسرح الأذربكية الذي تمثل فيه الفرقة المصرية عندما تضطرها إليه الفرق الأجنبية فهو غير صالح من الوجهة الفنية . وقال يوسف بك إنه يجب أن تحول إعانة الفرق الأجنبية كلها إلى التمثيل المصرى ، فليس من الجائز أن يأكل الضيف كل ما في البيت والعيال والزوجة جائعون . وعلى أثر ذلك صعد الأستاذ محمد الشريف فأعلن أن لجنة الشؤون الاجتماعية بمجلس النواب وافقت على إنشاء مسرحين بالقاهرة ، أحدهما سينى والأخر شتوى .

والملاحظ أن كل هذه الأفكار والأنجاعات الطيبة ليس فيها شيء انتهى الأمر فيه إلى التنفيذ ، فسامي إلا أمان ومقترحات . والملاحظ أيضاً أن الدولة لم تقدم بعد على عمل شيء لانقاذ هذا الفن الجميل في مصر . والغريب أنك ترى مما تقدم أن ما تمان به الفرق الأجنبية أكثر مما يناله التمثيل المحلى ، مع أن الأولى تلاقى رواجاً كبيراً من جانب جمهورها الذى يتألف من الأجانب وبعض الأثرياء ، وهى تقتضيه أجوراً مرتفعة ، مما لا حاجة معه إلى إعانة الدولة ، وإن لم يكفها جمهورها فلتذهب إلى جهنم .

العباس

وقد قارنت بين هذه القواعد وبين قواعد المؤتمر الثقافى فلم أجد بينهما إلا اختلافاً يسيراً جداً . وقد فرغ المؤتمر الثقافى من تقرير قواعده مع كثير غيرها فى بضعة أيام . فما السامى إلى إرجاء هذا الموضوع ، اليسير فى مادته الكبير فى أثره ، إلى السنة القادمة ؟ أمى طبيعة الجمع تلازمه فى كل أمر وإن هان ؟

سياسة تشجيع التمثيل :

دعت نقابة ممثلى المسرح والسينما لسماع محاضرة الدكتور محمد صلاح الدين بك فى : « سياسة تشجيع التمثيل » يوم الإثنين ، وقد بدأ بذكر الأساس التى تقوم عليها رعاية الحكومة لهذا الفن ، فقال : إنها تبدو فى نواح أربع ، هى الفرقة المصرية للتمثيل ، والفرق المدرسية ، والمسرح الشعبى . وأسهب فى الكلام على الفرقة المصرية ، ومن أهم ما أفاض فيه كيفية اختيار الروايات . فقال : إن هناك لجنة لهذا الاختيار اسمها : لجنة القراءة (والمحاضر عضو فيها) مهمتها بطبيعة الحال اختيار الرواية الصالحة للتمثيل . ولا شك أن الروايات الغربية تتوافر فيها العناصر الفنية ، وهى وإن كان يجب تقديم بعضها ولا سيما العالى منها ، إلا أنه لا بد من رعاية الجانب المحلى فى التأليف بتقديم روايات مصرية . ولكن الواقع أن المسرح لا يجد ما يصلح من هذا النوع إلا قليلاً ؛ لأن كبار الأدباء عازفون عن التأليف للمسرح ، إما ترهما عنه ، أو لعدم الليل إليه ، أو لقلة ما يتوقع من كسبه بالنسبة إلى ما يكسبونه من تأليف الكتب . وقد جربت طريقة المسابقات فلم تؤد إلى نتيجة طيبة ؛ لأن الكبار يأنفون الدخول فيها ، وما قدم لم يلف صالحاً ؛ حتى إنه فى إحدى المسابقات رأت اللجنة عدم استحقاق أى رواية مما قدم إليها لأى جائزة ، وفى المسابقة الأخيرة أعلنت اللجنة أنها ستمنح الجوائز للأحسن ، ومنحت فملا الجوائز لخير ما قدم وإن كان لا يصلح للتمثيل . قرأت اللجنة علاجاً لهذه الحال أن تطلب زيادة المبلغ المخصص لتشجيع التمثيل ، حتى تستطيع أن تفرى كبار المؤلفين بأجور ترشبههم . ولكن وزارة المالية لم توافق على هذه الزيادة . وهنا ذكر المحاضر رأياً للدكتور هيكل باشا أفضى إليه به ، وكان يحدثه فى هذا الموضوع وهو أن تذكر اللجنة فى طلبها أسماء المؤلفين الذين ستطلب منهم تأليف روايات لمواجهة نقص البادى فى التأليف المسرحى ، وتحدد العمل والأجر ، فأباتم

في مولد الرسول:

لمن النور؟

للشاعر أحمد هبكل

—*—*—*—

لمن النور يغمر الأرجاء ويحيل الظلام فيها ضياء؟
 أهو البدر قد تفجر نبياً من ليلين يفضض الصحراء؟
 أهو الفجر قد تقدم جيشاً رفع النور في يديه لواء؟
 أهو الصبح حائكا عبقرياً نسج الضوء للوجود رداء؟
 لا، فهذا الضياء يُسكب في الأعين هدياً ورحمة وشفاء .
 وجدته العيون أعذب رى كورود ترشفت أنداء
 إنه نورٌ وجو خير وليد هبط الأرض باسم لآلاء
 ما لتخل الصحراء برقص كالقيد ويبدى تحلماً وانثناء؟
 ما لهذا الجبال أضحت قلوباً في ضلوع الصحراء تحيي الرجاء؟
 ما لتلك الندران تضحك والساء سكوب من ثمرها صهباء؟
 ما لهذا القفار سارت رياضاً ثم انحنى هجيرها أفياء
 لا، فإن الريح يمكث حيناً ثم يمسي هواجراً أو شتاء؟
 والريبع القدسي خالده الله ليحجوا عن الوجود الشتاء؟
 ليس هذا الريع غير وليد جعل الأرض جنة فيحاء
 يايتما كالدرُسدت - على اليم - ملايين أدركوا الآباء
 يا وحيداً له نفوس البرايا يتمنين أن يكن إمام
 يا عليها وما خططت حروفا أنت أعجزت في الورى العلماء؟
 يا فقيراً وبين جنبيك كنز توب نملك بشرى الأغنياء
 تم تراهم عموا وصموا قلوباً ودعاهم النكير شق السماء
 ولقد كنت من قليلك تسخو فإذا جذبها يصير رخاء
 كم قسمت الأموال تمك بعضاً ثم تعطى جميعها الفقراء
 فتأخى الجميع وانسبط المدل ظللاً وريقة سجواء
 إن حق الأفراد في أى أرض أن يعيشوا في أرضهم أحياء
 يا رسولا دعا القلوب إلى الحب وأنسى الخمصام والبغضاء
 أنت شيدت بالتآلف للترب صروحاً تصافع الحوزاء
 في ظلال الإسلام أقدس روح عطّر الكون اللفة وإحاء

ثم دار الزمان وافترق القوم دروباً وفرقوا أهواء
 فشى النسر كالزواحف في الأرض يجر المظالم والأشلاء
 وغدا الجمع كاتعطيع شقينا واح ناب الذئاب فيهم وجاء
 ثم قالوا : مذلة واحتلال وأرادوا تحمراً وجلاء
 ومن الحق أن نكون شقينا ثم نبغى تقدماً وارتقاء
 ليس ينبغي سوى تآلف قوى ليردوا تلك التفاض بناء
 ثم نمضى إلى الأعدى جيوشاً نمشق الموت لا نهاب الفناء
 فن الحزى أن نميش على القيد ونحيا في أرضنا غريباء
 أحمد هبكل

—*—*—*—

دنياي قبر . . .

للإستاذ عبدالقادر رشيد الناصري

—*—*—*—

يا حبيبي ما بين كفيك روحي تتلوى وللأمان بكاء
 كيف أسلمتها إلى ليل هجر تمنى به وأنت الضياء
 لم تزل تشتكى العدى يارحيقاً تشتعي برده القلوب الظلماء
 هي رضى من ناظر بك بوعد لا تدعها يقضى عليها الجفاه
 يا حبيبي عطر شبابي ونظير امتياني فقد جفاها الدواء
 كيف خلفتني بيضاء حبي أتلقى وأنت ظلٌّ وماء
 أنت لى واحة من الحب نشوى فوق شطآنها يرف الهناء
 ملء أرباضها صفاء وسحر ملء أجوائها الهوى والوفاء
 عالم للجمل باركة الحب ووشقه كفه الصمحاء
 يا حبيبي لولاك دنياي قبرٌ ماؤه من هواجس أشلاء
 أنا فى ظلك الحبيب أغنى أغنيات الهوى فتصنى السماء
 أنا أهواك يا متمم تقصى أنت بمضى فالبعد عنك فناء
 يا فتكك الأسير من قبضة الأشواق رفقا فانت أنت الشفاء
 أو تنسى ما قلت بالأمس إني لست أنسى هواك أنت الرجاء
 لا تخن ود شاعر بك صب واربع عهداً بصوته الشعراء
 (بنداد) هبكل القادر رشيد الناصري

خالجة ، وبين كل نفس ونفس معنى يصوغ الأحران
ويهيج الحواطر الباكية ا .

والآن ، لقد تجاوز معروف الأرنأؤوط هذا الأفق
الأرضي ، وانبتت صلة المادة بينه وبين أبنائه ، وانصرف
عن هذا التفات المآزر ، وابتمد عن هذا الضجيج المآب ،
الذي تفرغ جهدنا - نحن - فيه . وعمرجت روحه إلى أولاب
الخالدين ، وانضم إلى زمرة أرباب الفن ، لينتم بمباهج ذلك العالم
الخالد الذي طامح إليه بأفكاره ، وليطمئن إلى محاسن تلك
الحياة التي طامح خلق بخياله إليها ، وليغمز قلبه بنور الأبد الذي
طامح حلم به وحن إليه ..

وعاد من عرف معروفًا ، فاعتزل الناس ، وخلا إلى نفسه ،
يقالب لوعته وينطوي على أشجانه .

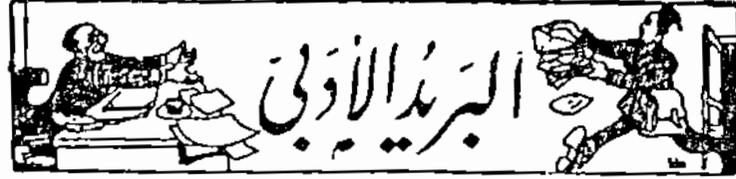
وإن خلا هو إلى رحمة ربه ، فإن عمل معروف وروح
معروف وفن معروف ، هنا فيما ترك بين أيدينا من كتب ومقالات ،
وفيها حفظنا له من أحاديث وأقوال ا

كان معروف الأرنأؤوط طبقة وحده بين الأدباء ، تهيأ له
الذوق الفني ، والخيال الخصب ، والذهن المشرق ، والقلب الزاخر
بالحياة والإحساس ، والنظرة النافذة إلى دقائق المآني ، والقدرة
المجبية على انتقاء الألفاظ وتنسيقها وصوغ العبارات التي
تستأثر بالإعجاب ..

كان ، كما لا يمكن أن يكون كل كاتب ، يربق من روحا
وعواطفه وعبقريته على ما يكتب ، فإذا هذا الذي كتبه ينضج
عطرًا ، ويلتحم ألوانًا ، ويتفرق عذوبة وألحانًا ...

كان حسي ، إذا اصطاحت على نفسى الموم ، وتذآبت
على قلبى الأحران ، وتضافت على المخاوف ، في ساعة مز
ساعات الفلق والشك ، أن أمد يدي إلى (سيد قريش) ، حتى
أجد عنده سكية نفسى ، وحتى أجد فن معروف برفنى رويدًا رويدًا
انصلت بقلى ، وحتى أجد فن معروف برفنى رويدًا رويدًا
دنيا نربية فدة من الأمانى المحببة والأحلام الجلية والأحيا
البديمة ... ولم يزل ذلك حسي !

إيه معروف ا لقد خافتنا في دنيا غلب عليها الشر ، وع
عليها وعلى أبنائها الشفاء ، والتأمت عليهم سبل العيش ، ولينقلد



معروف الأرنأؤوط في صمى الخالدين :

استردت السماء إليها في الأسبوع الخالي إحدى ودائمه
المززة عند الأرض ، حين واني الأجل فقيسنا القالى معروف
الأرنأؤوط ..

والأرض والسماء تتبادلان ودائمه في غير انقطاع ؛ ولكن
فرحة الإنسانية باستقبال إحدى هذه الودائع قلما تعادل نكبتها
بالخروج عنها ونشيبها إلى مستقرها .

وأبناء الحياة يودعون كل يوم أو-كل ساعة راحلا منهم إلى
العالم لآخر ، وبأسمى منهم من يأمى ، حينًا من الدهر ، ثم ترقأ
الدموع ، وتندمل الجراح ، ويمز النسيان بكفه على الأثر ، فيمحي
كل شئ ، إلى لأبد .

ولكن الوت يختم منهم بين الفينة والأخرى واحدًا بيمينه ،
فإذا صوتُ النائح يعلو على الأصوات كلها ، وإذا سحابة الحزن
تخيم على الرؤوس جميعها ، ثم إذا الجرح أعمق من أن يأسوه
الأيام ، والأثر أبلغ من أن يطفى عليه النسيان ..

لقد نعى إينا الناعى معروفًا في ساعة مبكرة من يوم الجمعة
الثلاثين من شهر يناير ١٩٠٨ ، فمقدت المفاجأة استنتنا ،
وبلبت أفكارنا ، وأثارت لواجبنا ، وأطلت شؤوننا ؛ ولم نكد
تثرب إلى أنفسنا حتى عرفنا أية خسارة فادحة خسرتها الأمة
العربية بفقده ، وأى رفد عظيم حرمته العربية بحرمانها منه .

وسار الوكب الرهيب بجمان الفقيده ، بعد ظهر السبت ،
ومشى خلفه نائب صاحب الفخامة رئيس الجمهورية ، وفئة من
الوزراء وأصحاب الناصب العليا ، وجمهور غفير من خاصة أهل
الفضل والعلماء والأدباء الذين تداوا إلى الماسمة من لبنان
والعراق ، وجيش لجب من رجال العربية والثقة وعامة الناس .
سار الوكب الرهيب خاشعًا . وقرأ ، حتى إذا لمع الراحل مآسته ،
انقلب الناس راجعين ، وفي كل عين دمة ، وعلى كل شفة

التاريخ كله ، ورواية الأدب كله ، ورواية اللغة كلها ، وأظن أن الدكتور ضيف لم يمط هذا الأمر حقه من النظر والتقدير . واست فيما أظن أيضاً مكالماً بشرح أصول هذه الفنون لكل امرئ لم يطلع عليها أو لم يعرفها حق المعرفة ، إلا أن يسأل -والأكثرها عن مواضع اللجاجة في الانتصار لفلان أو فلان .

والرابطة أنه تسرع في ذكر أشياء نفيه من تقدمها ، لأنها تطول وشرحها يطول أيضاً . ولكنني على ثقة من أن الدكتور طه يعرفها كما أعرفها ، وتبين موضع التميز فيها

ومهما يكن من شيء ، فإني كتبت ما كتبت عن « الفتنة الكبرى » ولم أتمه بمد ، ولعل الأستاذ لو صبر قليلاً رأى ما يرضيه أو يقنعه . أما المجلة فلا تأتيه بشيء إلا تراكب الخطأ على الخطأ ، ونحن إنما نكتب لنزيل الأخطاء لا لئلا نراكها بعضها على بعض .

وايعذرفي الأستاذ إذا رأى أني لم أبين له البيان الشافي في مسألة الرواية في التاريخ والحديث والتفسير ، وكيف تكون وما شروطها ، وما ينبغي أني ينتظر إليه الباحث صرة ، ويتجاوز عنه أخرى في هذه الأشياء ، فإن شاء أن يتجرأ على وجهه ، فليأل الدكتور طه نفسه ، فهو يدل على المصادر التي تعينه على بيانها إن شاء الله ...

محمود محمد شاكر

١ - تصانيف ابن تيمية :

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد الأمين في عدد « الرسالة » ٧٦٦ فرأيت أن أتقل من كتب الفتاوى ما يؤيد قول « الفصل في تاريخ الأدب العربي » : وبلغت مصنفاته ثلاثاً وثلاثين مجلداً . جاء في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد) ج ٦ ص ٨٤ في ترجمة الحافظ تقي الدين بن تيمية : قال الذهبي في عد مصنفاته المجودة : وما أبدأ أن مصنفاته إلى الآن تبلغ خمسين مجلداً .

وقال ابن كثير نقلاً عن البرزالي : وله تصانيف كثيرة وتماليق مفيدة في الأصول والفروع ككل منها جملة بيضت وكتبت عنه وترئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ،

المقاييس الكريمة والمثل الرقيقة ، وعمر عليهم أن يجدوا الطائفة لا أنفسهم المرهقة .. خذتهم وهم أحوج ما يكونون إلى تفحات القلب الكبير الذي يحمله الأدياء الكبار أمثالك ، وإلى تفحات القلم الملمهم الذي يتحرك في يد الكتاب أندادك ، يلتمسون عندها المزاء والراحة والسوة .

رحمك الله ، وأنتم عليكم بالجنة والرضوان .

محمد الأرنؤوط

الفتنة الكبرى

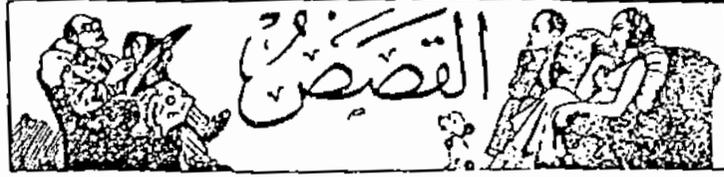
اطلعت على الكلمة التي نشرت في هذا العدد تعليقاً على مقال لي عن كتاب الدكتور طه حسين عن الفتنة « الكبرى » فلما قرأته آثرت أن لا أضيف على قراء الرسالة صفحات في نقد كلام الدكتور شوقي ضيف ، فمجلت بكتابة هذه الكلمة . وإياذن لي الدكتور طه حسين أن أوجه الكلام إلى الدكتور شوقي ضيف ، في بعض ما جاء في رده علي .

فأول ذلك أن الدكتور شوقي قد أطال في كلام أكثره موجود في كتاب الدكتور طه ، كأنه أراد أن يشرحه ، وكان وكنا في غنى عن مثل هذا الشرح .

والثانية أنه أطال أيضاً في الأسباب الموجبة لنفي قصة عبدالله ابن سبأ ، ونحن لم نقل أننا تثبتنا رواية الطبري وحسب ، بل قلنا إن الدكتور طه زيف القصة بأسباب لا تستقيم ، وهذه الأسباب مذكورة في مقال ولم يتنبه الدكتور شوقي إلى ضعفها وتهافتها . أما إثباتنا لها فسيأتي فيما بعد بطريق آخر غير الذي ظنه الدكتور ضيف .

والثالثة أنه ذكر عن ياقوت شيئاً في شأن تفسير الطبري وتاريخه ، وهو أن الطبري روى في تاريخه أشياء عن رجال ليسوا عنده بثقات ، وأنه لم يرو عنهم مثل ذلك في تفسيره لكنهم من التهمة في رأيه . وشرح ذلك أن للطبري رأياً في قوم ليسوا بثقات عنده ، فزعه التفسير عنهم لأنه أمر دين يجب منه الحيطة الشديدة ؛ أما التاريخ فليس لئلا هذه الحيطة فيه مكان . وموازن المحدثين والفسرين في رد الرجال وتجريحهم ، لا يمكن أن تطابق على أهل التاريخ وسوام من أدياء ورواة . ولو صح ذلك لأسقطنا رواية

وظلمت تبسيع العاطفة؛ فأضيت حقبة من الزمن
سادراً لا أروعى، حتى قبض الله لي الصدمة التي أبرأتني
من الداء.



نهاية حب

للأستاذ زهدى الشواف

—>>><<<—

لو قدر لكل إنسان أن يحب كما أحببت، وأن يمتنى بالحبيبة
كما منيت؛ لغاض ينبوع المواطف في هذه الدنيا.

أعدت قصيت ريق شبابي على مقعد الدرس، وصرفت زهرة
أيامي وأنا أقلب صفحات الكتب. وأعدت كنت أحب أن هذه
الأوراق الجامدة تتنال مني؛ فتجد نشاط عاطفتي. ولكنني
كنت مخمطاً في ظني؛ إذ كنت كلما انصرفت لحظة عن الدرس
طالعتني الميول الناعسة فعدت وكان لم أفض لحظة إلى جانب
كتاب، ولم أمض ثانية بعيداً عن تيار العاطفة الجارفة.

وجملة كلها ولم تبيض إلى الآن.

وقال الحافظ ابن حجر في « الدرر ». إن مصنفاته ربما تزيد
على أربعة آلاف كراسة. وفي « فوات الوفيات » إنها تبلغ
ثلاثمائة مجلد.

وقد كثر القول في هذا الرجل بين نقد وجرح وإطراء
ومدح، وأعدل الأقوال هو ما قاله تلميذه ابن كثير: وبالجملة
كان رحمه الله من كبار العلماء، وعمن يخطيء ويصيب... قال
مالك بن أنس: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب
هذا القبر.

أما « المنتقى » فهو من تأليف جده، وذلك مشهور.

٢ — إلى الأستاذ محمود شاكر:

في عدد الرسالة ٧٦١ (وهذه الخسة أشياء) فهل هذا
تطبيع، والصواب (وهذه الخسة الأشياء) والأعلى من هذا
والأصح (وهذه خسة الأشياء) أم تذهبون إلى غير هذا؟

محمد أسامة عليية

كان ذلك في صبيحة يوم من أيام الربيع في حماة؛ فقد
استيقظت باكراً ومضيت للحقول أمتع الدين بمفاتيح الطبيعة، ولم
يطل بي الطواف كثيراً؛ فقد كان عقرب الساعة يسرع في جريه
فيدنو من الثامنة. وكانت المدرسة تتمثل لي من ورائه، وكانت
دقات الجرس ترن في أذني مؤذنة بحلول الدرس الأول... يا إلهي
كيف أتذكر هذا الهواء الطلق، وهذه الجنان الراحبة... لا تحدر
إلى العروة الضيقة... إلى الهواء الحبيس. وكيف أضحي بهذه
الحرية المطلقة لأستريح إلى نظام أقل ما يقال فيه إنه غول الحرية
ولم أذهب في تفكيري بعيداً فلم يبق للثامنة إلا دقائق عشر
لا تكاد تسكني للوصول إلى المدرسة.

وعدت أدرجني أسفاً، وانحدرت إلى المدينة لا أرى على
شيء. وبيننا أنا في الطربق قرع مسمعي نبرات صوت عذب
فرقت رأسي لأنبين مصدرها، فإذا أنا أمام جبين وضاح يهر
بنوره شمس تلك الصبيحة الفاتنة.

إنها فتاة في مقتبل العمر، وقفت في نافذة بيتها تتلعي
برؤية المارة. لقد انحنت قليلاً ممسكة شعرها المتهدل يمينها
وراحت تداعب يسراها فطلتها الجميلة. ولقد لبثت هذه
القطعة تونو إليها شاخصة ذاهلة، كأنها قد سحرت بزرق تلك
العيون، أو أنها فتنت بمنظر ذلك الجبين... ولم أشعر إلا وقد
طرحت كفتي على الأرض ثم جلست فوقها ورحت أرنو إلى
النافذة شاخصاً ذاهلاً.. لقد أنساني هذا الجمال كل ما قد شهدت
في الحقول من جمال، وأبعدت هذه العيون شبح المدرسة عن
فكري. وكان قلبي هذه لم ترق للآنسة المحترمة؛ فإنها لم تسك
تراني أحرق في وجهها حتى اعتدت بوقفها وسوت شعرها بيدها
ثم أغلقت النافذة وانصرفت.

أما أنا فقد ابثت في مكان أفكر بحظي الناعس، وأقرن نفسي إلى
تلك القطعة السميدة إنها أسعد من على الأرض إلا يكفينا أنهم
تستمتع بحريتها وتميش إلى جانب الأنسة الفتاة... ألا يكفينا
أنها لا تمسك نفسها ساعات بطويلة على مقعد الدرس. ألا يكفينا
أنها لا تشغل بالها بتوانين الجبر، ولا ترهق نفسها بحفظ قواف

وأقبل الصيف وأغلقت المدارس أبوابها فوجدت في المطلة الصيفية عوناً على تحقيق رغباتي . لقد رحلت أفضى الأيام الطوال حول منزل آنستي فأستقضى أخبارها وأتتشق عبير رائحتها ... ولقد تخطت معرفتي بها الحدود التي كان الربيع قد رسمها فلم أعد أفتم برؤيتها في النافذة ، وإنما أصبحت أراها في الطريق رائحة غادية برفقة صريبتها المجوز (نانو) .

وإن أنس لا أنس تلك اللحظات التي كنت أقضيها بانتظار خروجها . لقد كانت اللحظة شهراً ، وكانت الساعة دهماً ، ولكني ما كنت لأشعر بوطأة هذا الطول . فقد كان لي خلفه آمال تمدل كل ما ألفاه من آلام . لقد كنت أنتظر طويلاً ثم لا ألبث أن أسمع صوتاً ملائكياً ين في أذني . إنه صوتها وهي تقول : « نانو ... امشي يا نانو » ثم يفتح الباب ويخرج منه وهي تخطو خطوة وثيدة وإلى جانبها « نانو » فأقف في الطريق محاولاً استدراجها إلى ابتسامة رقيقة . ولكنني كنت أعود كل مرة خائباً . فقد كانت تمر بي دون أن تشعر بوجودي أو تفتن إلى عواطفى . وإنى لا أزال أنجب لتلك العواطف الجامدة كيف لم تعصف بها نظراتي الحادة ، وإنى لا أزال أكره ذلك القلب الهادى الذى لم تستطع أن تحركه نبرات قلبى المتأججة ...

وقد أوشك الصيف أن ينقضى قبل أن أنتهى إلى نتيجة مرضية ، فقد ظل قلب الأنسة بعيداً عن قلبي وبعيت آذانها منغلقة عن سماع صوتي ، وقد تراءى لي أنها تكتم عواطفها خوفاً من « نانو » المجوز ، فاعتقدت أن الحب يقضى على أن أستعطف « نانو » وأن أستدر رحمتها .

ولما كان الندم ملت بنظارى نحو « نانو » فابتسمت لي وابتسمت لها وقلت في نفسى إنها رلا شك قد أدركت معنى ابتسامتى وفهمت مفزى وقوفى ، وتتابعت النظرات والابتسامات ورأيت « نانو » ذات صباح وحدها فدنوت منها وتكلمت من الشجاعة أكثر مما أطيق ، ثم اعترضتها وقلت لها : « الهوى سمب يا نانوا » فهزت برأسها هزة العجب والكبرياء ثم أجابتني « والصبر طيب ... طيب يا حبيبي ا . » ثم مضت لسبيلها وظللت وحدى أفكر في معنى كلماتها ...

زهري السواف

(الدية في العدد القادم)

الصرف والنحو | سميدة أنت أيتها القطة .

ربينا أنا ساحج في سماء الخيال ؛ وقعت عيني على الساعة فإذا بها تشير إلى الثامنة والربع ... يا للمصيبة ! ... أين المدرسة ؟ . بأى وجه أقابل الناظر ؟ ... ومضيت أجر ساقى جراً ، وكنت كلما سرت خطوتين تلت لأرى النافذة ومن وراء النافذة . حتى إذا ما خفي المنزل عني عدوت نحو المدرسة ودخلتها متأخراً ؛ فاستقبلني الناظر بطلمته الكالحة . وبعد السؤال والجواب سجل لي ما يناسبني من جزاء ثم سمح لي بالدخول إلى الصف .

ودخلت الصف فألفيت زملائي الطلاب ساكتين كأن علي رؤوسهم الطير . لقد كان الوجوم يحيم في سماء الغرفة ، وكان الصمت يستأثر بالأفواه ... أين هذا الكلوح من تلك البشاشة ا وأين هذا التزم من ذلك المرح ؟ ...

وأخذت مقمدي ورحت أفكر . ولقد كانت لي في صمت الطلاب وهدوئهم ما يحملني على الانطلاق في سماء الخيال ... لقد فتحت الكتاب لأتابع الأستاذ في قراءته ، ولكن اليون الزرقاء كانت تطالعي من بين الأسطر ... لقد كانت كل كلمة عيناً زرقاء ، وكان كل سطر خصلة شقراء . لقد كنت في واد والطلاب في واد . وانتهى الدرس الأول ، وتبعه الثاني ، وانصرم النهار وأنا لا أعلم كيف انصرم ؛ ولكن الذى أذكره هو أنه كان طويلاً ، وأنى لم أفد به من العلم لا كثيراً ولا قليلاً .

ورجعت البيت في المساء كاسف البال محطم الأعصاب ، ولم أقدر على الطالمة ، فأغلقت الكتاب واضطجعت في الفراش ... ولكن آتى للنوم أن يزور الأجنان التي تتطلع من وراء الخيال إلى سورة الحبيب المجهول .

وتوالت الأيام وأنا أزداد بالآنسة شغفاً ، وتتابعت الليالي وأنا أطوف حول بيتها لئلي أظفر منها بنظرة . ولكن هيهات ا فقد كانت لا تكترث بوجودي ، ولا تبالي بمرورى وإنما تمتمل في وقتها فتتلق النافذة ثم تنادى قطنها وتنصرف . وكنت إذا لحظت منها الصدود غضبت وأقسمت أن لا أمر من أمام بيتها ، ولكن ما أبصر ما أحفت بهذا القسم فلا أجدنى إلا سائراً في طريق بيتها . لقد كانت هذه القصة تتمثل كل يوم ، ولكنها تنتهى وكأني لم ألاحظ صدوداً ولم أحلف بميثاق .